الجهاد في السعودية

قصة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب

توماس هيغهامر

الشبكة العربية للأبحاث والنشر
ARAB NETWORK FOR RESEARCH AND PUBLISHING

الجهاد في السعودية

قصة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب

توماس هيغهامر

ترجمة
أمين الأيوبي

مراجعة
سعود السويدا

الشبكة العربية للأبحاث والنشر
ARAB NETWORK FOR RESEARCH AND PUBLISHING

الجهاد في السعودية

قصة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب

الفهرسة أثناء النشر ـ إعداد الشبكة العربية للأبحاث والنشر

هيغهامر، توماس

الجهاد في السعودية: قصة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب/ توماس هيغهامر؛ ترجمة أمين الأيوبي؛ مراجعة سعود السويدا.

٤٠٠ ص.

ببليوغرافية: ص ٣٧٣ ـ ٤٠٠.

ISBN 978-614-431-031-1

١. الإسلام والدولة ـ السعودية. ٢. الجهاد ـ تاريخ. أ. الأيوبي، أمين (مترجم). ب. السويدا، سعود (مراجع). ج. العنوان.

322.4209538

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الشبكة العربية للأبحاث والنشر»

Jihad in Saudi Arabia
Violence and Pan-Islamism since 1979

© Thomas Hegghammer 2010

This Publication is in Copyright. Subject to Statutory exception and to the provisions of relevant collective licensing agreements, no reproduction of any part may take place without the written permission of Cambridge University Press.

جميع حقوق الترجمة العربية والنشر محفوظة حصراً للشبكة

الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠١٣

الشبكة العربية للأبحاث والنشر

بيروت ـ لبنان

هاتف: ٧٣٩٨٧٧ (١-٩٦١) - ٢٤٧٩٤٧ (٧١-٩٦١)

E-mail: info@arabiyanetwork.com

المحتويـات

مقدّمة ٩

الفصل الأول : الدعوة إلى الوحدة الإسلامية ٣١

أولاً : تشكّل الدعوة إلى الوحدة الإسلامية ٣٤

ثانياً : الجهاد الأفغاني والدولة السعودية ٤٥

ثالثاً : مزايدات دعاة الوحدة الإسلامية ٥٣

الفصل الثاني : المجاهدون الكلاسيكيون ٦٥

أولاً : أفغانستان مهد الحركة الجهادية ٦٧

ثانياً : الجهاد في البوسنة، الانحدار ٨٠

ثالثاً : طاجيكستان، والشيشان، وجبهات الجهاد الثانوية ٨٦

الفصل الثالث : التجنيد والتوجه إلى جبهات الجهاد الأولى ٩٥

أولاً : هيمنة حجازية ٩٧

ثانياً : من أجل الأمّة والحياة الآخرة ٩٩

ثالثاً : التجنيد في العلن ١٠٥

الفصل الرابع : فرص الجهاد العالمي ١١١

أولاً : من انتفاضة بُرَيدة إلى تفجير الرياض سنة ١٩٩٥ ١١٣

ثانياً : بين قمع الشرطة وتهاودها ١١٨

ثالثاً : قضايا وحدويّة إسلامية جديدة ١٢٤
رابعاً : صعود مدرسة الشُّعَيبي ١٣١

الفصل الخامس : تنظيم القاعدة والمملكة العربية السعودية ١٤٩
أولاً : الجهاديون العالميون ١٥١
ثانياً : مذهب الجهاد العالمي والمملكة العربية السعودية ١٥٥
ثالثاً : مركز القاعدة ١٦٤
رابعاً : القاعدة في المملكة العربية السعودية ١٧٠

الفصل السادس : الانخراط في صفوف القاعدة ١٩٥
أولاً : البطالة و«هيمنة النجديين» ١٩٧
ثانياً : استغلال الجهاد الكلاسيكي ٢٠١
ثالثاً : البوّابون ٢٠٨

الفصل السابع : المملكة العربية السعودية
بعد أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر ٢١٥
أولاً : رموز جديدة لمعاناة المسلمين ٢١٧
ثانياً : علماء القاعدة ٢٢٣
ثالثاً : مِن فَرضِ الأمن باللين إلى فَرْضِه بالقوة ٢٣٣

الفصل الثامن : المجاهدون في شبه الجزيرة العربية ٢٤١
أولاً : العودة من أفغانستان ٢٤٣
ثانياً : الناشري وهجمات القاعدة الفاشلة في عام ٢٠٠٢ ..... ٢٤٩
ثالثاً : شبكة العُيَيْري ٢٥٥
رابعاً : إعلان الجهاد ٢٧٠

الفصل التاسع : الانخراط في صفوف القاعدة في جزيرة العرب ٢٧٧
أولاً : شباب الرياض ٢٨٠

ثانياً : عامل أفغانستان ٢٨٣
ثالثاً : معاداة أمريكا والصحبة ٢٨٩
رابعاً : الإقناع والتوريط والحماية ٢٩٣

الفصل العاشر : إخفاق الجهاد في جزيرة العرب ٢٩٧
أولاً : أهداف القاعدة في جزيرة العرب ٢٩٩
ثانياً : تطوّر الحملة ٣٠٣
ثالثاً : تعليل انهيار القاعدة في جزيرة العرب ٣٢٤

خاتمة ٣٣٩

ملحقان ٣٥٣

الملحق الرقم (١) : معطيات اجتماعية واقتصادية عن المسلّحين السعوديين ٣٥٥

الملحق الرقم (٢) : استعراض تاريخي لحوادث العنف المنسوبة إلإسلاميين في المملكة العربية السعودية، ١٩٧٩ ـ ٢٠٠٩ ..... ٣٦٣

المراجع ٣٧٣

مقدّمة

كانت أمسية هادئة من يوم اثنين في الرياض عندما انفجرت سيارات مفخّخة في مجمّعات سكنية. أودى الهجوم الانتحاري الثلاثي في ١٢ أيار/ مايو ٢٠٠٣ بحياة خمسة وثلاثين شخصاً وآذن ببداية موجة عنف طال أمدها في المملكة العربية السعودية. وفي غضون السنين القليلة التالية، حصدت الحملةُ التي شنّها تنظيم القاعدة في جزيرة العرب أرواح نحو ٣٠٠ شخص وشوّهت آخرين كُثر. ولم يسبق أن شهدت المملكة في تاريخها الحديث مثل هذا العنف الداخلي؛ إن لجهة نطاقه أو مدته.

إنّ العنف الذي شهدته المملكة في عام ٢٠٠٣ مثير للاهتمام؛ لأنّه وضع نهاية للمفارقة التي ميّزت الإسلام السياسي السعودي في ثمانينيات القرن الماضي وتسعينياته، ولا سيما التناقض الغريب بين العدد الكبير من السعوديين الضالعين في أنشطة عسكرية خارج البلاد وبين الغياب شبه المطلق للعنف الإسلامي داخلها. فلو استثنينا عدداً قليلاً من الحوادث المعزولة، نجت المملكة إلى حدّ بعيد من الاضطرابات التي أرّقت مصر والجزائر في العقود السابقة. لماذا إذاً انطلقت حملة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب في عام ٢٠٠٣ وليس قبل ذلك؟

يجادل هذا الكتاب بأنّ السبب هو اختلاف الحركة الجهادية في المملكة العربية السعودية عن نظيراتها في الجمهوريات العربية، كونها مدفوعة أساساً بدعوة متشددة إلى الوحدة الإسلامية لا بأيديولوجيا اجتماعية ثوريّة. يرجع الطابع الخارجيُّ التوجّه للتيار الإسلامي السعودي إلى القلة النسبية للمظالم الاجتماعية والاقتصادية، ولتطوّر ثقافة سياسية

معيّنة أضحت فيها نصرةُ المسلمين المضطهَدين في الخارج مصدراً رئيساً للشرعيّة السياسية والمكانة الاجتماعية. كانت أعمال العنف التي شهدتها المملكة في عام ٢٠٠٣ شذوذاً تاريخياً من تدبير فرع من الحركة الجهادية السعودية جنح إلى التشدد في معسكرات التدريب الأفغانية. لكن على النقيض من حركات التمرّد المصرية والجزائرية التي استمرّت سنين، فقدت حملة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب زخمها ولم يكد يمضي على انطلاقها ثمانية عشر شهراً؛ لأن المسلّحين شكّلوا مكوّناً غريباً في المشهد الإسلامي ولم يحظوا بدعم شعبي يُذكر.

تحتلّ المملكة العربية السعودية مكاناً محورياً في التاريخ المعاصر للتيار الإسلامي الجهادي. روّجت المملكة منذ طفرة النفط في سبعينيات القرن الماضي لتفسيرها الوهّابي المحافظ للإسلام في العالم. وأضحت منذ ثمانينيات القرن الماضي منبعاً أساساً للمقاتلين وموردِاً مالياً للفدائيين المسلمين في أفغانستان والبوسنة والشيشان وغيرها من المناطق. وفي الأمس القريب، تضررت سمعة البلاد كونها وطن أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة، فضلاً عن خمسة عشر من تسعة عشر رجلاً نفّذوا هجمات ١١ أيلول/سبتمبر. وأمست المملكة في نظر كثيرين في الغرب مرادفاً لصعود التطرّف الإسلامي، ومسؤولة عنه جزئياً في أواخر القرن العشرين ومستهلّ القرن الحادي والعشرين.

إلا أنّ آليات العمل الداخلية في الإسلام السياسي السعودي لم تُستكشَف بالقدر الكافي على نحو واضح. حتى إنّ المملكة صُوّرت في كثير من المؤلفات بأنها خزّان أسود يضخّ التطرّف في النظام الدولي بانتظام. وإلى وقت قريب، عالجت دراساتٌ قليلة الإسلام السياسي السعودي من منطلق امتلاكه قوى محرّكة داخلية، واحتضانه جهات متنوّعة لها توجّهات سياسية. تجلّى هذا الغموض الذي يكتنف الإسلام السياسي السعودي عدة مرات في حوادث عنيفة طنّانة ولكن منعزلة، في العقود الأخيرة، مثل: حادثة احتلال الحرم المكّي في عام ١٩٧٩، وتفجير الرياض في عام ١٩٩٥، وتفجير الخُبَر في عام ١٩٩٦. أُخذ المراقبون في كل من هذه الحوادث على حين غرّة؛ لتتلاشى تأثيراتها

بسرعة وسط هالة من السرّية والتكّهنات. وهذا الكتاب يستعين بمصادر أولية جديدة؛ لتسليط الضوء على تاريخ الإسلام السياسي الذي يتّخذ العنف سلاحاً، وعلى قواه المحرِّكة في المملكة العربية السعودية.

إذا عاينّا الإسلام السياسي السعودي من منظور سياسي مقارِن، نجده مثيراً للاهتمام إلى حدّ بعيد لعدة خصائص تنفرد بها السياسة والمجتمع السعوديان. أبرز هذه الخصائص الدور المركزي والتفسير المُحافِظ للدِّين في المملكة. ترعى المملكة هويتها من منطلق كونها قلب الإسلام، بمنح المؤسسات الدينية صلاحيات وأموالاً كثيرة؛ وبجعل الدِّين جزءاً مركزياً في خطابها. كما إنّ النظام السياسي السعودي غير شائع أيضاً لأنّه ملكيّة مطلقة تحكمها أسرة مَلَكية كبيرة (آل سعود)، بالتحالف مع أحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهّاب (آل الشيخ). زد على ذلك، أنّه تحكم المملكةَ إحدى أكثر الأسر الحاكمة المعمّرة في المنطقة وأنّها واحدة من دول قليلة شرق أوسطية لم تمتدّ إليها يد الاستعمار الغربي أو تشهد انقلابات عسكرية. وعلى الصعيد الاقتصادي، مكّن النفطُ المملكةَ من أن تكون أثرى الدول الأخرى التي أفرزت جماعات جهادية كبيرة في المنطقة، مثل: مصر واليمن. وعلى الصعيد الاجتماعي، تتميّز المملكة من جملة أمور أخرى بهيمنة الهياكل الاجتماعية التقليدية، مثل: القبائل والأُسر العريقة. والأشدّ لفتاً للنظر سرعة التغيّر الاجتماعي والاقتصادي الذي شهدته المملكة في أواخر القرن العشرين ومداه. تثير هذه العوامل وغيرها أسئلة محيّرة تتخطى بأهميتها الميادين الضيّقة للدراسات السعودية أو دراسات التيارات الجهادية. مثال ذلك، ما هي العوامل التي تساعد تياراً إسلامياً عسكرياً على البروز في دولة إسلامية؟ وكيف تؤثّر خصائصُ السياسة والمجتمع السعودي في القوى التي تؤجّج النزاعات؟ وكيف يبرز التطرّف الفردي في مجتمعات قبلية وثرية مفرطة التحفّظ؟[1].

---

(١) لمطالعة كتب عامة تُعنى بالمملكة العربية السعودية، انظر: Alexei Vassiliev, *The History of Saudi Arabia* (London: Saqi Books, 2000); Madawi Al-Rasheed, *A History of Saudi Arabia* (New York: Cambridge University Press, 2002), and Robert Lacey, *The Kingdom: Arabia and the House of Saud* (New York: Avon, 1981).

مع بروز هذه الأسئلة العريضة، يركّز هذا الكتاب على تطوّر التيار الجهادي في المملكة العربية السعودية بعد عام ١٩٨٠. وأنا أعني بالتيار الجهادي «التيارَ الإسلامي السنّي العسكري»، بينما يعرَّف التيار الإسلامي عموماً بأنه «نشاط إسلامي فاعل». ومع أننا سنتطرّق إلى الجهات الإسلامية التي لا تؤمن بالعنف متى اقتضت المناسبة ذلك، لا يتحدّث هذا الكتاب على التيار الإسلامي السياسي السعودي ولا على النظام السياسي السعودي بوجه عام. كما إننا أعرضنا عن الحديث على نشاط التيار الإسلامي الشيعي العسكري، مثل أحداث الشغب التي اندلعت في المنطقة الشرقية في عام ١٩٧٩، أو أحداث الشغب التي اندلعت في موسم الحجّ عام ١٩٨٧ أو تفجير الخُبَر في عام ١٩٩٦؛ لأنه يمثّل ظاهرة سياسية منفصلة إلى حدّ بعيد. ولم نتطرّق إلى العنف الإسلامي السابق مثل ثورة الإخوان في عشرينيات القرن الماضي، لتناول باحثين آخرين لها ولقلّة انعكاساتها المباشرة على التيار العسكري بعد العام ١٩٨٠[٢].

يقلّل التحليل من شأن اثنتين من أشهر حقب تاريخ الإسلاميين السعوديين لأسباب لا تُدرَك بالبداهة. **الحقبة الأولى** هي الحصار الشهير للمسجد الحرام بمكّة المكرّمة في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٩؛ كانت هذه الحادثة المثيرة التي أودت بحياة مئات الأشخاص من تدبير فرقة تمسّكت بنبوءات بقيادة جُهَيمان العُتيبي صاحب الشخصية الكاريزمية. مثّل الثوار الذين أطلقوا على أنفسهم اسم الإخوان زمرة جنحت إلى التطرّف من منظّمة شديدة الورع تأسّست في المدينة المنوّرة في أواخر ستينيات

---

(٢) للاطلاع على مزيد من المعلومات عن التيار الشيعي المسلّح، انظر: Fouad N. Ibrahim, *The Shi'is of Saudi Arabia* (London: Saqi, 2007); Toby Jones, «Rebellion on the Saudi Periphery: Modernity, Marginalization, and the Shi'a Uprising of 1979,» *International Journal of Middle East Studies*, vol. 38, no. 2 (2006), and Thomas Hegghammer, «Deconstructing the Myth about al-Qa'ida and Khobar,» *Sentinel*, vol. 1, no. 3 (2008).

ولمعرفة المزيد عن الإخوان في عشرينيات القرن الماضي، انظر: John S. Habib, *Ibn Saud's Warriors of Islam: The Ikhwan of Najd and their Role in the Creation of the Sa'udi Kingdom, 1910-1930*, Social, Economic and Political Studies of the Middle East; v. 27 (Leiden: Brill, 1978), and Joseph Kostiner, *The Making of Saudi Arabia, 1916-1936: From Chieftaincy to Monarchical State*, Studies in Middle Eastern History (NewYork; Oxford; Oxford University Press, 1993).

القرن الماضي عُرفت باسم «الجماعة السلفية المُحتسِبة». توصّلت هذه الزمرة التي مالت إلى التطرّف تحت تأثير مجادلات مع علماء في المدينة المنوّرة وشخصية جُهَيمان الملتهبة، وأخيراً بفعل قضاء سنتين في شبه عزلة عن المجتمع وفي خلوات كانت في الصحراء، إلى أنّ نهاية العالم باتت قريبة. اعتقدت أنّ المهدي، وهو رجل مسلم يُنتَظَر ظهوره، تجلّى في أحد أفراد الزمرة، وأنّ مبايعته واجبة في الحرم على رأس القرن الهجري الجديد. لم نتعمّق في تفاصيل جماعة جُهَيمان في كتابنا لأنه قُضي عليها كمنظّمة في عام ١٩٧٩، ولأنّها مثّلت جناحاً متشدّداً في التيار الإسلامي السعودي ومتمايِزاً عن الحركة الداعية إلى إقامة خلافة إسلامية والتي أنجبت تنظيم القاعدة في جزيرة العرب. كان لحادثة احتلال الحرم أثر غير مباشر في الإسلام السياسي السعودي؛ لأنها دفعت النظام إلى منح العلماء مزيداً من السلطة، وإلى منح الناشطين الإسلاميين مساحة سياسية أكبر في أوائل ثمانينيات القرن الماضي. على أنه لا يوجد من الناحية الفعلية أي صلات جوهرية لا تنظيمية ولا أيديولوجية بين جهيمان وتنظيم القاعدة[٣].

وبالمثل، أشرنا عرَضاً في هذا الكتاب إلى بروز ما سُمّي حركة الصحوة في ثمانينيات القرن الماضي وفي مستهل تسعينياته؛ ولأن الصحوة حركة إصلاحية لا تؤمن بالعنف، اختلفت في غاياتها ووسائلها وقاعدتها الاجتماعية عن المتطرّفين الإسلاميين الداعين إلى إقامة الخلافة الإسلامية على جبهات الجهاد في الخارج. نشأت حركة الصحوة التي شكّلت أيديولوجيتها مزيجاً من الوهّابية المحافِظة وأيديولوجية الإخوان المسلمين البراغماتية في الجامعات السعودية في أوائل سبعينيات القرن الماضي بتأثير معلّمين منفيين من أعضاء حَرَكَتي الإخوان المصرية

---

(٣) بالغ ياروسلاف تروفيموف في إبراز الصلة بين جُهَيمان والقاعدة في قصته اللامعة **حصار مكة**. انظر: Yaroslav Trofimov, *The Siege of Mecca: The Forgotten Uprising in Islam's Holiest Shrine and the Birth of al Qaeda* (New York: Doubleday, 2007).

لمعرفة المزيد عن جذور جماعة جُهَيمان، انظر: Thomas Hegghammer and Stéphane Lacroix, «Rejectionist Islamism in Saudi Arabia: The Story of Juhayman al-'Utaybi Revisited,» *International Journal of Middle East Studies*, vol. 39, no. 1 (2007).

والسورية. انخرط الصحويون في مناقشات دينية في أواسط الثمانينيات ضد التيار الأدبي الذي عُرف بالحداثة. وعقب اندلاع أزمة الخليج وانتشار القوات الأمريكية على أراضي المملكة العربية السعودية، رفعت الصحوة بقيادة الشيخين الكاريزميَّين سَفَر الحَوالي وسلْمان العودة مطالب سياسية رسمية إلى الحكومة السعودية، أشهرها مطلبان: **الأول** بعنوان «خطاب المطالب» عام ١٩٩١، و**الثاني** بعنوان «مذكرة النصيحة» في عام ١٩٩٢. في هذه المرحلة، شكّل تيارٌ في حركة الصحوة منظّمةً رسمية اسمها «لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية»، وسرعان ما أُرغم مؤسِّسوها على اللجوء إلى لندن. ولاذت حركة الصحوة بالصمت عقب قمعها في أيلول/سبتمبر ١٩٩٤؛ لتعود إلى البروز وقد اعتراها ضعف شديد في أواخر تسعينيات القرن الماضي. لا ريب في أنه سيكون للصحوة مكان في تحليلنا؛ لأنها شكّلت جزءاً مهماً من المشهد السياسي الذي نشطت فيه الحركة الجهادية، لكنّ تاريخ الصحوة وقواها الداخلية المحرِّكة لن تكون موضوع بحث رئيس[٤].

إنّ اختيار المصطلحات والمفاهيم في هذا الكتاب الرامي إلى التمييز بين الجهات والتيارات الأيديولوجية المتنوّعة مبني على افتراضين أساسيَّين:

الأول هو أنّ الإسلام السياسي غير متجانس سياسياً، فالإسلاميون يعملون على بلوغ أهداف مختلفة قصيرة الأجل ومتوسّطة الأجل، ويُظهرون نقاط اختلاف منهجيّة في نشاطهم السياسي.

و**الثاني** هو أنّ أوصافاً دينية عديدة شاع استخدامها في الكتب التي تحدثت عن الإسلام السياسي، مثل: عبارات السلفية والوهّابية والسلفيين الجهاديين والتكفيريين، لا تتناسب مع أنماط النشاط السياسي الدقيقة والملحوظة لدى الإسلاميين. لذلك آثرتُ استعمال عبارات تُبرز المحتوى

---

(٤) للاطلاع على المزيد من المعلومات عن الصحوة، انظر: Mamoun Fandy, *Saudi Arabia and the Politics of Dissent* (New York: Palgrave Macmillan, 2001), and Stéphane Lacroix, «Les Champs de la discorde: Une Sociologie politique de l'islamisme en Arabie Saoudite (1954-2005),» (Ph.D. Thesis, Institut d'Etudes Politiques de Paris, 2007).

السياسي للأيديولوجيا المعنيّة أو الأولويات السياسية الملحّة لجهة فاعلة معيّنة، مثل: عبارتي «ثوري» و«متزمّت». وأنا أجادل بأنّ هذه المقاربة شرط أساس لتحليل الحركات الاجتماعية؛ لأنّ الحركة الاجتماعية بطبيعتها تجتمع على مجموعة مشتركة من الخيارات السياسية. فالحديث عن «حركة اجتماعية سلفيّة» ليس فيه منطق؛ لسبب بسيط وهو أنّ للجهات التي توصَف بأنها سلفيّة أجندات سياسية شديدة التباين ومتناقضة تماماً في الأغلب. ونحن لا نقصد بذلك القول إنه يجب التخلّي عن استعمال مصطلحي السلفية والوهّابية، ولكن أردنا الإشارة إلى أنّ استعمالهما في تحليل الخطاب الدِّيني أجدى منه في تحليل السلوك السياسي[٥].

وللسبب عينه لا جدوى من اعتبار صلة التيار الوهّابي بالتيار العسكري المعاصر علاقةً سببيّة. فالتيار الوهّابي الذي حمل اسم الشيخ محمد بن عبد الوهّاب، وهو شخصية تاريخية عاشت في القرن الثامن عشر، ليس مذهباً سياسياً ولكنّه تعاليم دينية قائمة شرحتْها ونافحت عنها أجيال متعاقبة من العلماء. وفي العصر الحديث، لا تزال التعاليمُ الوهّابية الأساسَ الذي يبني عليه النظامُ ومعارضوه الذين يؤمنون بالعنف خطابهم، لكنّ استنتاجاتهم السياسية شديدة التباين، كما بيّنتْ مضاوي الرشيد في كتابها **مساءلة الدولة السعودية** (*Contesting the Saudi State*). وإذا كانت الوهّابية تصوغ طريقة إعداد الناشطين وخصومهم لأجنداتهم وإضفاء الشرعية عليها، فهي لا تُملي المحتوى الجوهري لنشاطهم[٦].

---

(٥) انظر: John D. McCarthy and Mayer N. Zald, «Resource Mobilization and Social Movements: A Partial Theory,» *American Journal of Sociology*, vol. 82, no. 6 (1977), p. 1218, and Thomas Hegghammer, «Jihadi Salafis or Revolutionaries?: On Theology and Politics in the Study of Militant Islamism,» in: Roel Meijer, ed., *Global Salafism: Islam's New Religious Movement* (London; New York: Hurst and Columbia University Press, 2009).

(٦) لمعرفة المزيد عن الوهّابية، انظر: David Commins, *The Wahhabi Mission and Saudi Arabia* (London; New York: I. B. Tauris, 2006); Guido Steinberg, *Religion und Staat in Saudi-Arabien: Die wahhabitischen Gelehrten, 1902-1953* (Würzburg: Egon, 2002); Madawi Al-Rasheed, *Contesting the Saudi State: Islamic Voices from a New Generation*, Cambridge Middle East Studies; 25 (Cambridge, UK; New York: Cambridge University Press, 2007), and Mohammed Ayoob and Hasan Kosebalaban, eds., *Religion and Politics in Saudi Arabia: Wahhabism and the State* (Boulder, CO: Lynne Rienner, 2008).

إنّ أسماء الجهات المستعملَة في هذا الكتاب مستمدَّة من إطار مفاهيمي واسع يراد منه التمييز بين الأوجه المثالية للأنشطة الإسلامية (انظر الجدول الرقم (١) أدناه). يعتمد هذا الإطار على فكرة وجود خمسة أسس منطقية لأغلب صور النشاط الإسلامي. وأنا أُدرج تحت عبارة «الأساس المنطقي» الأهدافَ والاستراتيجيات السياسية المرصودة المتوسطة المدى. تمثّل هذه الأسسُ المنطقية، التي ربما يكون لها تجلّيات عنيفة وتجلّيات غير عنيفة، الغايات الرئيسة الخمس التي يسعى إلى تحقيقها الإسلاميون. وهي تمثّل في حالة الجماعات التي تتّخذ العنف سلاحاً أهمّ الأهداف المتوسطة الأجل لصراعهم المسلّح:

- يقاتل **الثوريون الاجتماعيون** نظماً إسلامية يعتبرونها غير شرعية من أجل الوصول إلى السلطة.

- يناضل **التحرّريون الذين يتخذون العنف سلاحاً** لتحرير بقعة معيّنة من محتلّ محلّي غير مسلم.

- يقاتل **الوحدويون الذين يتخذون العنف سلاحاً** لصدّ عدوان الكافرين عن الأمّة الإسلامية برمّتها وعن أراضيها. من هؤلاء الوحدويين يخوض الجهاديون حروبهم في مناطق تشهد صراعات محلّية، بينما يقاتل **الجهاديون العالميون** الغرب بالوسائل كافة وفي سائر الأماكن.

- يستخدم **حرّاس العقيدة** العنف لتقويم السلوك الأخلاقي لأشقائهم المسلمين.

- يقاتل **الطائفيون الذين يتّخذون العنف سلاحاً** لترويع الطائفة المنافسة وتهميشها (سنّية أو شيعية).

هذه الفئات ليست حصرية على نحو متبادل، بل هي حوافز مثالية متداخلة جزئياً. ذلك أنّ أغلب الإسلاميين يعملون على تحقيق كثير من هذه الأهداف أو حتى كلها، لكن لكل جهة أساس منطقي غالب يحدّد الشكلَ الأساس لسلوكها العنيف.

الجدول الرقم (١)
تصنيف الأنشطة الإسلامية المعتمد على الأساس المنطقي
مع أمثلة من الواقع السعودي

الأساس المنطقي	شكل غير عنفي		شكل عنفي	
	الطابع	أمثلة	الطابع	أمثلة
سُلطويّ التوجّه	إصلاحي	الصحوة	إسلام سياسي ثوري اجتماعي	لا يوجد
وطنيّ التوجّه	تحرّري	لا يوجد	تحرّري يؤمن بالعنف	لا يوجد
أمميّ التوجّه	الدعوة إلى الوحدة الإسلامية باللين	رابطة العالم الإسلامي	الدعوة إلى الوحدة الإسلامية بالعنف جهادي كلاسيكي جهادي عالمي	السعوديون في أفغانستان والشيشان والبوسنة والعراق، تنظيم القاعدة، تنظيم القاعدة في جزيرة العرب
أخلاقيّ التوجّه	متزمّت	الجماعة السلفية المُحتسِبة	حراسة العقيدة	إخوان جُهَيمان، الحسبة غير المنظمة
طائفيّ التوجّه	طائفي	لا يوجد	طائفي يؤمن بالعنف	لا يوجد

تبرز في التحليل الآتي مصطلحات ثلاثة بحاجة إلى مزيد من الإسهاب، وهي «الإسلام السياسي الثوري الاجتماعي» و«الإسلام الجهادي الكلاسيكي» و«الإسلام الجهادي العالمي». **المصطلح الأول** متلازم مع أفكار سيّد قطب، ويشير إلى النشاط الهادف إلى إسقاط نظام حكم مسلم بتدبير انقلاب عسكري. وهذا هو الشكل الأساس للنشاط الإسلامي العسكري في مصر وسوريا في سبعينيات القرن الماضي، وكذلك في الجزائر في التسعينيات. استهدفت هذه الجماعات بأعمالها العنيفة أهدافاً حكوميّة في الأساس، والموضوع أو الإطار المهيمن الذي تكررت الإشارة إليه في مؤلفاتها هو الفساد والقمع وسوء سيرة الحاكم المسلم.

ويشير **المصطلحان الأخيران** إلى الأشكال المتشددة للنشاط الداعي إلى الوحدة الإسلامية. يقترح المؤلف مصطلح **الإسلام الجهادي الكلاسيكي**

لأن مبدأه الأساس أقرب إلى مفاهيم الجهاد منه إلى أيديولوجيات الجهات المسلّحة الأخرى. إنّ المذهب الجهادي الكلاسيكي ابتكار حديث أول من صاغه عبدُ الله عزّام في سياق الجهاد في أفغانستان في ثمانينيات القرن الماضي. جادل عزّام بأنّ انتهاك الكفّار حرمة أرض إسلامية يستلزم مشاركة عسكرية فورية من جانب الرجال المكلّفين كلّهم شرعاً بالدفاع عن تلك الأرض أيّاً كان موقعها. وبذلك تغيّر المحتوى السياسي للجهاد المعاصر من صراع مع نظم مسلمة على السلطة، إلى صراع دفاعي مع الكفار دفاعاً عن الأرض. وهذا المفهوم الجهادي أقرب إلى الآراء التقليدية في الجهاد المشروع، ومن هنا جاءت شهرته، لكنّ عزّام اختلف مع جمهور العلماء بقوله إنّ القتال فرض عين على كل المسلمين وليس على السكان المتأثّرين بشكل مباشر فقط[٧].

لطالما جرى الخلط بين الجهاد الكلاسيكي وشقيقه الأيديولوجي الأكثر تشدداً، أعني مذهب الجهاد العالمي الذي طوّره أسامة بن لادن في أواسط تسعينيات القرن الماضي. يرى المذهبان أنّ محاربة القوى الكافرة التي تقمع المسلمين أَولى من قتال الحكومات المسلمة الفاسدة، وكلاهما أطّر صراعه بالمُثُل مستخدماً خطاباً موضوعُه الدائم اضطهاد الكافرين للمسلمين، والذي يتجلّى في العادة بقوائم طويلة لصور معاناة المسلمين. لكن في حين دافع عزّام عن الحرب الفدائية ضمن مناطق صراع محدّدة مع أعداء يرتدون زيّاً عسكرياً، دعا بن لادن إلى شنّ هجمات تُوقع أعداداً كبيرة من الضحايا خارج مناطق الصراع. وهذا هو سبب إحجام العرب من الناحية الفعلية في أفغانستان في عقد الثمانينيات، أو في البوسنة والشيشان في عقد التسعينيات، وجميعهم جهاديون كلاسيكيون، عن تنفيذ عمليات دولية، بينما استهدف المسلّحون التابعون لتنظيم القاعدة نطاقاً واسعاً من الأهداف الغربية في أماكن شتى. إن الفارق بين الجهاديين الكلاسيكيين والجهاديين العالميين مهم، لأن الفريقين اختلفا في المملكة العربية

(٧) للاطلاع على مراجعات لمفهوم الجهاد بموجب التعاليم التقليدية، انظر: David Cook, *Understanding Jihad* (Berkeley, CA: University of California Press, 2005), and Michael Bonner, *Jihad in Islamic History: Doctrines and Practice* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2006).

السعودية في أواخر التسعينيات ومطلع القرن الحادي والعشرين، وخصوصاً في مسألة حصر القتال بالمملكة أو خوضه خارجها.

اللافت أنّ الدعوة إلى الوحدة الإسلامية بوسائل متشددة تشاطر الأيديولوجيات القوميّة بعض أوجه الشبه البنيوية، ولا سيما التركيز على تحرير الأرض، مع التركيز على قتال الأعداء الخارجيين والتشديد على الوحدة الداخلية في مواجهة التهديدات الخارجية. يمكن بكل تأكيد اعتبار الإسلام السياسي الوحدوي قوميةً كلّية مرتكزة على مجتمع الأمّة المتصوَّرة التي يحددها الدِّين وكذلك اللغة، وإن بدرجة معيّنة (أعني اللغة العربية لتمتّعها بمنزلة خاصّة في الإسلام). وإذا كانت الأمّة الإسلامية بطبيعتها غير مناطقية لشمولها المسلمين أينما وُجدوا، فلدى الإسلاميين الوحدويين حسّ واضح بما يشكّل الأرض الإسلامية، وعلى التحديد سائر الأراضي التي حكمها المسلمون في يوم من الأيام، بدءاً بالأندلس في الغرب، وانتهاءً بإندونيسيا في الشرق. ربما يعترض بعض المفكرين على النظر إلى الإسلام السياسي الوحدوي بأنّه قومية كلّية، لكنّ هذا المنظور يصبح بدهياً عند ربطه بالتفريق المثالي بين الأيديولوجيات الثورية المثالية والأيديولوجيات الإثنية القومية، وهو ربط أثبت بالتجربة نفعَه العميم في تحليل التيار العسكري خارج الشرق الأوسط. من ذلك أن بيتر والدْمان (Peter Waldmann) وثّق الفوارق العامة في أنماط السلوك والتجنيد بين الجماعات القومية الإثنية والجماعات اليسارية المتطرّفة في أوروبا في عقدَي السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي. وكما سنبيّن في موضع لاحق من هذا الكتاب، بعض هذه الفوراق يميّز العلاقة بين الناشطين الثوريين الاجتماعيين والناشطين الإسلاميين الوحدويين[٨].

إذا عاينّا تاريخ العنف الإسلامي السنّي في المملكة من خلال عدسة

---

(٨) Peter Waldmann, «Ethnic and Socio-revolutionary Terrorism: A Comparison of Structures,» in: Donatella Della Porta, ed., *Social Movements and Violence: Participation in Underground Organizations*, International Social Movements Research; vol. 4 (Greenwich: JAI Press Inc., 1992).

المفاهيم الآنفة الذكر، يبرز نمط واضح ولافت وهو أنّ للعنف طابعاً إسلامياً وحدوياً متشدداً، فضلاً عن اتّصافه ببعض سمات المحافظة على الأخلاق، بينما نجد العنف الثوري الاجتماعي نادراً للغاية. وقد شهد التاريخ المعاصر للمملكة العربية السعودية سبع حوادث تجلّى فيها العنف الإسلامي السنّي، **أولها** احتلال الحرم المكّي في عام ١٩٧٩، وهو ظاهرة فريدة مع كونه أقرب ما يكون إلى العنف المدفوع بحراسة العقيدة لأنه أريد منه أن يكون عملاً تطهيرياً أخلاقياً شاملاً. والحادثة **الثانية** اشتملت على سلسلة هجمات محدودة على أهداف أمريكية في أثناء حرب الخليج عام ١٩٩١. و**الثالثة** سلسلة من نحو عشر هجمات لا يُعرف عنها الكثير استهدفت رموز الفساد الأخلاقي (محلات بيع أشرطة الفيديو، ومراكز نسائية، وغير ذلك) في محافظة القصيم وفي الرياض في وقت قريب من عام ١٩٩١، نفّذت تلك الهجمات مجموعة صغيرة من المتزمّتين المتطرّفين الذين رأوا أعمالهم تجسيداً للحِسبة والمحافظة على الآداب. و**الرابعة** تفجير الرياض الذي استهدف منشأة عسكرية أمريكية في عام ١٩٩٥. و**الخامسة** موجة أخذت شكل سلسلة هجمات محدودة النطاق على وافدين غربيين بين عام ٢٠٠٠ ومطلع العام ٢٠٠٣ (باستخدام سيارات مفخّخة، وإطلاق النار من السيارات، وإرسال رسائل مفخّخة وغير ذلك)؛ وإذْ لم يُلقَ القبض على أي من المهاجمين، يرجَّح أن يكون هذا العنف من صنيع مسلّحين هواة مدفوعين بكراهية الغرب. والموجة **السادسة** عبارة عن سلسلة من خمس محاولات اغتيال استهدفت قضاة ورجال شرطة في مدينة سكاكا الشمالية بمحافظة الجوف أواخر عام ٢٠٠٢ ومطلع عام ٢٠٠٣. ربما تمثّل أحداث سكاكا أعمال العنف الوحيدة التي طالت ممثّلين حكوميين مدنيين في التاريخ السعودي الحديث[٩].

---

(٩) للاطلاع على تفاصيل الهجمات التي وقعت في عام ١٩٩١، انظر: Elizabeth Rubin, «The Jihadi Who Kept Asking Why,» *New York Times*, 7/3/2004.

انظر أيضاً: المقابلات التي أجراها المؤلف مع منصور النقيدان في الرياض في نيسان/ أبريل ٢٠٠٤، ومع ناصر البرّاك في الدمام في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٥. ولمعرفة المزيد عن تفجير الرياض عام ١٩٩٥، انظر: Joshua Teitelbaum, *Holier than Thou: Saudi Arabia's Islamic Opposition*, Policy Papers; no. 52 (Washington, DC: Washington Institute for Near East Policy, 2000).

موجة العنف **السابعة** والأهمّ على الإطلاق هي حملة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب. أبرز التنظيمُ أجندةً إسلامية وحدوية أساساً في أقواله وأفعاله. كانت المصالحُ الغربية هدفَ عامّة هجماته، لكنّه لم يستهدف وزير أو قصر ملكي أو مبنى حكومي مدني خارج الجهاز الأمني. والهجمات التي استهدفت القوى الأمنية ووزير الداخلية جاءت متأخرة نسبياً في الحملة بعد أن أضحى الثأر دافعاً. ودأب تنظيم القاعدة في جزيرة العرب في منشوراته على تبرير عنفه بأنّه ردّ فعل دفاعي على عدوان الولايات المتحدة على العالم الإسلامي. ربما أرادت القيادة العليا لتنظيم القاعدة تغيير النظام، لكن يتضح من أدبيات تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، ولا سيّما المقابلات الكثيرة التي أُجريت مع مسلّحين وسيرهم الذاتية التي نشرتها مجلة **صوت الجهاد**، أنّ عامة أعضاء التنظيم من الطبقة المتوسطة والمتدنية رأَوا أنهم يخوضون صراعاً إسلامياً وحدوياً أساساً.

لذلك، يبدو أن التيار الإسلامي السياسي الوحدوي هو التيار الغالب في المملكة العربية السعودية في العقود الأخيرة. وبالتالي، فإنّ تاريخ الحركة الجهادية السعودية يمثّل إلى حدّ بعيد تاريخ تيار فرعي إسلامي وحدوي متشدد انبثق عن الإسلام السياسي السعودي. إذاً ما السبيل إلى تقديم أفضل تعليل لصعود هذا التيار وانطلاق حملة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب؟

عموماً، تستعرض المؤلّفات المنشورة ثلاثة أطر أساسية لتفسير تطوّر التيار الجهادي السعودي. يشمل الإطار الأول تحليلات على المستوى التنظيمي تعزو حملة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب إلى قرار اتخذه أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة بفتح جبهة قتالية في المملكة العربية السعودية. وفي هذا السياق قدّم كل من أنتوني كوردسمان (Anthony H. Cordesman) ونواف عُبَيد ودومينيك توماس

= ولمعرفة المزيد عن الهجمات التي وقعت بين عامي ٢٠٠٠ و٢٠٠٣ وعن عمليات الاغتيال في سكاكا، انظر: J. E. Peterson, «Saudi Arabia: Internal Security Incidents Since 1979,» *Arabian Peninsula Background Note*, no. 3 (2005).

(Dominique Thomas) وبروس ريدل (Bruce Riedel) رؤى قيّمة للغاية حيال فكر القاعدة الاستراتيجي والمرحلة الأولى من تاريخ تنظيم القاعدة في جزيرة العرب. لكنّ هذه التحليلات لا تشرح بشكل وافٍ الأسباب التي حملت بن لادن على اتخاذ قرار إطلاق الحملة في عام ٢٠٠٣ وليس قبلها. زد على ذلك أن التحليلات على المستوى التنظيمي تميل إلى إغفال قضايا العنف الأعمق[١٠].

هذا ما دفع بعض المفكرين إلى تقديم تفسيرات بنيوية تعتبر العنف نتيجة طبيعية لمشكلات اجتماعية واقتصادية عميقة أو لأوجه الخلل الوظيفي للجهاز الحكومي السعودي. شدّد بعضهم على البُعد الاقتصادي، وجادل بأنّ العنف عصف بالمملكة العربية السعودية لأنها في مرحلة تنمية اقتصادية معرّضة للعمليات الإرهابية. وأقرّ آخرون، منهم جوشوا تيتلْبوم (Joshua Teitelbaum)، بأهمية العوامل الاجتماعية الاقتصادية، لكنهم أشاروا إلى أن المشكلة الحقيقية في «أيديولوجيا التشدد الدِّيني» الذي يشكل أساس شرعية المملكة. وهناك تحليل متصل لكنه أشدّ تعقيداً، قدّمته مضاوي الرشيد في كتابها المهم **مساءلة الدولة السعودية** الذي عالجت فيه الإسلام السياسي السعودي. ترى مضاوي أنّ التيار الجهادي السعودي أصبح واحداً من عدة صور للتيار الوهّابي، بعد أن خسرت الدولة السعودية ذات الحكم المطلق احتكارها للخطاب الوهّابي بفعل ضغوط العولمة. لم تقدّم مضاوي تفسيراً واضحاً لاندلاع أعمال العنف في عام ٢٠٠٣، ربما لأنه لم يكن مقصد كتابها، لكنّها ألمحت بالفعل إلى أنّ الطابع الاستبدادي للدولة، واستغلالها للوهّابية هما السببان الرئيسان لبروز التيار الجهادي السعودي. على أنّ المشكلة الأساسية في هذه التفسيرات عدم مراعاتها التباينات الزمنيّة في مستويات العنف إلّا نادراً، وأنّها غير مناسبة على الخصوص لتفسير العنف

(١٠) Anthony H. Cordesman and Nawaf Obaid, *Al-Qaeda in Saudi Arabia: Asymmetric Threats and Islamic Extremists* (Washington, DC: Center for Strategic and International Studies, 2005); Dominique Thomas, *Les Hommes d'Al-Qaïda: Discours et stratégie*, Ligne d'horizon (Paris: Michalon, 2005), pp. 39-58; and Bruce Riedel and Bilal Y. Saab, «Al Qaeda's Third Front: Saudi Arabia,» *Washington Quarterly*, vol. 31, no. 2 (2008).

المحدود الذي شهدته المملكة. إن العنف السياسي ليس تعبيراً مباشراً عن ضغوط بنيوية إلّا نادراً؛ لأنّ الصراع العنيف يقتضي وجود جهات يمكنها تعبئة الأنصار وتنفيذ نواياها عملياً[١١].

لذلك، برز تفسير ثالث متّصل بُني على نظرية الحركة الاجتماعية؛ حيث اعتُبرت حملةُ تنظيم القاعدة في جزيرة العرب مرحلةً عنيفة في «دورة نزاع» الحركة الإسلامية السعودية. هذه هي المقاربة التي اعتمدها رويل ميجير (Roel Meijer)، في المجادلة بأنّ المرحلة العنيفة أفرزها قمعُ المعارضة الإسلامية التي لا تؤمن بالعنف في عام ١٩٩٥. لكنّها مقاربة تفترض وجود حركة إسلامية متماسكة، بينما توجد فوارق أيديولوجية مهمّة والقليل من الصلات التنظيمية بين تنظيم القاعدة في جزيرة العرب والمعارضة التي نشطت في مطلع تسعينيات القرن الماضي. وبالإضافة إلى ذلك، لا تقدّم هذه المقاربة تفسيراً شافياً للتوقيت المحدّد لحملة التنظيم[١٢].

للتغلّب على هذا التحدّي المنهجي الثلاثي، وبالتحديد إغفال التحليلات التنظيمية الأسبابَ العميقة، وعجز التفسيرات البنيوية عن تفسير التوقيت، وعدم ملاءمة نظرية الحركة الاجتماعية بالقدر الكافي مع الحركة الإسلامية السعودية عموماً، أقترحُ وضع إطار عمل لحركة اجتماعية متعددة المستويات لدراسة الحركة الجهادية السعودية المعرَّفة على نحو أكثر حصراً. وأنا أعتمد في ذلك على عمل دوناتيلا ديلا بورتا (Donatella Della Porta) التي درست التيار اليساري المتطرّف في إيطاليا

---

(١١) Robert Looney, «Combating Terrorism Through Reforms: Implications of the Bremer-Kasarda Model for Saudi Arabia,» *Strategic Insights*, vol. 3, no. 4 (2004); Joshua Teitelbaum, «Terrorist Challenges to Saudi Arabian Internal Security,» *Middle East Review of International Affairs*, vol. 9, no. 3 (2005), and Al-Rasheed, *Contesting the Saudi State: Islamic Voices from a New Generation*, pp. 134-174.

(١٢) Roel Meijer, «The «Cycle of Contention» and the Limits of Terrorism in Saudi Arabia,» in: Paul Aarts and Gerd Nonneman, eds., *Saudi Arabia in the Balance: Political Economy, Society, Foreign Affairs* (London: Hurst, 2005).

[وصدرت النسخة العربية من الكتاب عن مركز دراسات الوحدة العربية عام ٢٠١٢ بعنوان: **المملكة العربية في الميزان: الاقتصاد السياسي والمجتمع والشؤون الخارجية**].

وألمانيا؛ عبر التفريق بين المتغيّرات على المستوى الكلّي؛ مثل: أنماط رقابة الاحتجاجات؛ والمتغيّرات على المستوى المتوسط؛ مثل: القوى المحرّكة التنظيمية السرّية؛ والمتغيّرات على المستوى الجزئي، مثل: عمليات التجنيد وتشريب الأفكار المتشددة؛ حيث يسهّل إطار العمل القوي هذا تصوير كل من الأسباب الجذرية والتباينات التكتيكية، وتقييم أثر التغيّرات المتزامنة عند مستويات التحليل المختلفة[١٣].

لذلك، يحدّد التحليل الآتي أهمّ المراحل الزمنية، ويعاين كلاً منها على المستوى الكلّي والمتوسط والجزئي. سأدرس على **المستوى الكلّي** التطوّرات السياسية الدولية بشكل أساس؛ والفضاء السياسي المحلّي المتاح للنشاط الجهادي؛ والتطوّرات الأيديولوجية في المجتمع الإسلامي الأرحب. وعلى **المستوى المتوسط**، سأركز على «العوامل المحرّكة الأولى»؛ وعلى المنظّمين؛ وعلى الاستراتيجيات التي اعتمدوها لتعبئة المناصرين. وعلى **المستوى الجزئي**، سأعاين مجموعات الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والدوافع المعلَنة؛ وأنماط التحاق المجنّدين الفرديين بالمعارضة. وأودّ أن أشير إلى أن الفصول كافة عند مستوى تحليلي معيّن ليست متناسقة بالكامل، وذلك عائد جزئياً إلى تغطيتها حقباً زمنية متفاوتة الطول. لكنها تجيب عن الأسئلة العريضة ذاتها المتصلة بالسياق وتطرّف الجماعات والأفراد على التوالي.

أوْلينا عناية خاصة في مجمل مراحل هذا التحليل لفهم التعبئة وتفسيرها؛ أي تبيان أسباب حشد الموارد البشرية والمادّية وغير المادّية وتنظيمها للعمل السياسي وكيفية القيام بذلك. كما أوليتُ بعض العناية لطريقة تأطير الجهات صراعها بهدف استقطاب المناصرين، وللقوى المحرّكة التي تؤثّر في القدرة التعبوية لأطر تلك الجهات. لذلك يتجلّى مفهوم «الأيديولوجيا» الواسع في سائر مراحل التحليل الثلاث كجزء من البيئة التي نشط فيها المعارضون، وكجزء من استراتيجيتهم

---

(١٣) Donatella Della Porta, *Social Movements, Political Violence, and the State: A Comparative Analysis of Italy and Germany*, Cambridge Studies in Comparative Politics (Cambridge [UK]; New York: Cambridge University Press, 1995), pp. 9-14.

في تعبئة المناصرين، وكجزء من عملية التجنيد الفردي[١٤].

المشكلة بالطبع هي أن هذا النوع من التحليل يتطلّب قدراً كبيراً من المعلومات المفصّلة عن الجهات الفاعلة، بينما الجماعات التي نتعامل معها هنا صغيرة وعنيفة وسرّية. لا ريب في أنّ تأليف هذا الكتاب قبل عشر سنين كان مهمة مستحيلة، بيد أن تطورات حديثة ثلاثة حملت التيار الجهادي السعودي على إبداء مزيد من العلانية. **التطور الأول** والأهم هو شبكة الإنترنت التي أطلقت ثورة في الدراسة الأكاديمية للإسلام الحركي العسكري. عمد الجهاديون في أواخر تسعينيات القرن الماضي إلى استخدام شبكة الإنترنت كمركز توزيع ومكتبة ومنصّة لتبادل المعلومات والترويج للكتب والتسجيلات الصوتية والفيديوية. وقد نشر تنظيم القاعدة في جزيرة العرب خصوصاً كمّاً مدهشاً من الوثائق عن نفسه في عامي ٢٠٠٣ و٢٠٠٤، ما يجعله أكثر جماعة عنفيّة وثّقت أنشطتها على مرّ التاريخ. ومن نافلة القول إنه يتعيّن استخدام الوثائق المنشورة على المواقع الإلكترونية الجهادية بحذر، لكنّ صحة الوثائق ليست موضع جدل بالقدر الذي يراه المشكّكون. فالتزوير صعب لأنه تمكن دائماً مقارنة الوثائق الإفرادية بمصادر أخرى للتأكّد من اتساق الأسلوب والمضمون. ومن ناحية أخرى انعدام الدقة همّ أكبر لكن يمكن التصدي لهذه المشكلة بالاعتماد على الأدلة التي تمّ جمعها. وهذه الدراسة مبنيّة على آلاف النصوص والتسجيلات الصوتية والفيديوية التي جُمعت بطريقة ممنهجة عبر الإنترنت على مدى ست سنين[١٥].

---

(١٤) David A. Snow and Robert D. Benford, «Ideology, Frame Resonance, and Participant Mobilization,» in: Bert Klandermans, Hans Peter Kriesi and Sidney Tarrow, eds., *International Social Movements: From Structure to Action: Comparing Social Movement Research across Cultures* (Greenwich: JAI Press, 1988).

(١٥) تضمّن الإنتاج الأدبي الكبير لتنظيم القاعدة في جزيرة العرب خمس سلاسل منشورات مختلفة: مجلة **صوت الجهاد** التي صدر منها ثلاثون عدداً (تألف كل عدد من ٣٠ ـ ٥٠ صفحة)؛ ومجلة **معسكر البتّار** التي صدر منها اثنان وعشرون عدداً (من ٣٠ ـ ٥٠ صفحة)؛ و**الخنساء** (على اسم شاعرة من القرن السابع) وصدر منها عدد واحد؛ و**التقرير الإخباري** وصدر منه ثلاثة وعشرون عدداً؛ و**البيان** التي صدر منها ثلاثة أعداد على الأقل. كما أنتج تنظيم القاعدة في جزيرة العرب عدداً من الأفلام التي تراوحت مددها بين ٤٠ و٩٠ دقيقة وثّق فيها عمليّاته بتفاصيل مدهشة، مثل «عزائم الشهداء» و«شهداء المواجهات» و«بدر الرياض» و«فيلق القدس» و«غارة الفلّوجة».

التطور الآخر الذي جعل هذه الدراسة ممكنة، هو انفتاح المملكة العربية السعودية على علماء الاجتماع الغربيين بدءاً بالعام ٢٠٠٢ تقريباً.

استطاع المؤلف القيام بعمل ميداني واسع في المملكة العربية السعودية في خمس رحلات بين عامي ٢٠٠٤ و٢٠٠٨. ومع أنني لم أستطع الوصول إلى أي من الأعضاء الناشطين في تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، فقد أجريت مقابلات مع أصدقائهم ومع أُسرهم ومع قدامى المجاهدين على جبهات الجهاد في الخارج ومع متشددين سابقين ومع إسلاميين معتدلين ومع صحافيين ومعلّقين مختصّين في مختلف أنحاء المملكة. كما إنني لم أُفصح عن هويّات بعض المتعاونين لأسباب غنية عن البيان.

التطور الثالث كان تغيّر موقف السلطات السعودية من تقاسم المعلومات بعد إطلاق تنظيم القاعدة في جزيرة العرب شرارةَ أعمال العنف. باتت وزارة الداخلية أكثر استعداداً بدرجة كبيرة لإعطاء معلومات عن الحوادث الأمنية بدءاً بشهر أيار/ مايو ٢٠٠٣ منها قبل ذلك. والراجح أنّ هذا التغيّر عكس إدراك أن الإنترنت والقنوات التلفزيونية الفضائية كسرت احتكار الدولة للمعلومات، وحاجةَ الحكومة إلى تقديم روايتها الخاصة للأحداث لتكون بديلاً من روايات المسلّحين. كما سُمح لوسائل الإعلام السعودية المحلّية بعرض قدر معيّن من التحقيقات الإخبارية وإن بقيت خاضعة لرقابة الدولة.

اعتمد الكتاب عند التحليل على المستوى الجزئي على مجموعة مؤلفة من ٥٣٩ سيرة ذاتية لمسلّحين سعوديين نشطوا في ميادين عديدة؛ بدءاً بالجهاد الأفغاني في ثمانينيات القرن الماضي وانتهاءً بحملة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب (باستثناء العراق). راجع المؤلّف منفرداً السيَرَ الذاتية التي جمعها من مصادر مفتوحة طوال مدة زادت على أربع سنين. وقد أدرجنا مزيداً من المعلومات المفصّلة عن المصادر وعن البيانات الاجتماعية والاقتصادية في الملحق الأول؛ وإذْ لم نطمح إلى أن يكون التحليل على المستوى الجزئي دراسة مقارنة بشكل أساس، فقد أعرضنا عن الدارسة المنهجية لكمّ هائل ومتنامٍ من مجموعات الدراسات

المعتمدة على النماذج الذاتية للتشدد الفردي. لكنّ تحليلنا يُلقي نظرة مفصّلة نسبياً على كيفية تحوّل بعض السعوديين إلى ناشطين مسلّحين[١٦].

لا مفرّ من احتواء الكتاب على أخطاء وقائعية معيّنة وحالات سهو، وكذلك هي سائر الدراسات الغنية التجريبية التي تُعنى بظواهر تكتنفها هالة من السرّية. ومع ذلك، أعتقد أن البيانات مسهبة ومتنوعة بما يكفي لتقديم إجابات مبنية على أسس قوية نسبياً عن بعض الأسئلة التي أتينا على ذكرها.

بعبارة غاية في البساطة أقول إنّ حجتي الأساسية هي أنّ التيار الجهادي السعودي أقرب إلى التيار الوحدوي الإسلامي منه إلى التيار الثوري، خلافاً لما هو سائد في الجمهوريات العربية؛ حيث العكس هو الصحيح. وأجادل أيضاً بأنّ حملة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب مثّلت عودة حركة جهادية إلى الوطن بعد أن مرّت في ثلاث مراحل.

امتدت **المرحلة الأولى** من أواسط ثمانينيات القرن الماضي إلى أواسط تسعينياته، وشهدت تكوين حركة جهادية كلاسيكية انخرطت في صراعات تحرّر وطني محلّية في أماكن، مثل: أفغانستان والبوسنة والشيشان، باسم الوحدة الإسلامية. وكان لبروز الحركة الجهادية الكلاسيكية في هذا الوقت أسباب ثلاثة: **الأول**؛ أنّ الزيادة في عدد الصراعات التي تدور رحاها بين المسلمين وغير المسلمين وبروزها جعل

---

(١٦) للاطلاع على دراسات عن التطرّف الفردي في سياقات أخرى، انظر على سبيل المثال: Saad Eddin Ibrahim, «Anatomy of Egypt's Militant Islamic Groups: Methodological Notes and Preliminary Findings,» *International Journal of Middle East Studies*, vol. 12, no. 4 (1981); Ayla Hammond Schbley, «Torn Between God, Family and Money: The Changing Profile of Lebanon's Religious Terrorists,» *Studies in Conflict and Terrorism*, vol. 23, no. 3 (2000); Ami Pedahzur, Leonard Weinberg and Arie Perliger, «Altruism and Fatalism: The Characteristics of Palestinian Suicide Terrorists,» *Deviant Behaviour*, vol. 24, no. 4 (2003); Alan B. Krueger and Jitka Malečková, «Education, Poverty and Terrorism: Is there a Causal Connection?,» *Journal of Economic Perspectives*, vol. 17, no. 4 (2003); Marc Sageman, *Understanding Terror Networks* (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2004), and Edwin Bakker, *Jihadi Terrorists in Europe: Their Characteristics and the Circumstances in Which They Joined the Jihad: An Exploratory Study*, Clingendael Security Paper; no. 2 (The Hague: Netherlands Institute of International Relations, 2006).

الخطاب الوحدوي الإسلامي أكثر صدقية من الناحية العملية. و**الثاني**؛ أن العوامل السياسية المحلّية أتاحت نافذة فرص سياسية نافعة للنشاط الوحدوي الإسلامي المتشدد. و**الثالث**؛ أداء عبد الله عزّام ورفاقه الممتاز في تنظيم حركة اجتماعية.

شهدت **المرحلة الثانية** التي امتدت من أواسط تسعينيات القرن الماضي إلى عام ٢٠٠١، بروز فرع «جهادي عالمي» أكثر تشدداً من الحركة الجهادية السعودية. كان الجهاديون العالميون إسلاميين وحدويين متشددين أيضاً، لكنّهم اختلفوا عن الجهاديين الكلاسيكيين بمعاداتهم للولايات المتحدة واستعدادهم لاستخدام تكتيكات عنفيّة دولية. استقطب هؤلاء الجهاديون العالميون الممثَّلون بتنظيم القاعدة عدة سعوديين في أواخر تسعينيات القرن الماضي لنجاح بن لادن في تأسيس بنية تحتية للتجنيد المحلّي، فحاز مساندة علماء دين متشددين، واستغلّ التعاطف الشعبي مع القضيتين الشيشانية والفلسطينية.

وفي **المرحلة الثالثة** التي امتدت من عام ٢٠٠٢ إلى عام ٢٠٠٦، أنجب الفرعُ الجهادي العالمي تنظيمَ القاعدة في جزيرة العرب، الذي شنّ حرباً على الوجود الغربي في المملكة العربية السعودية. لكنّ السبب المباشر لحملة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب كان القرار الذي اتخذه أسامة بن لادن بفتح جبهة قتالية في المملكة بعد الغزو الأمريكي لأفغانستان. وفي ربيع العام ٢٠٠٢، عاد عدة مئات من المقاتلين السعوديين إلى المملكة العربية السعودية قادمين من أفغانستان، وبدؤوا بالتحضير لعمليات عسكرية بإشراف يوسف العُيَيْري. ومما سهل عملية التعبئة فرض السلطات الأمنَ بطريقة غير منظمة، وحالة الاستقطاب التي هيمنت على الساحة الإسلامية، وظهور صور جديدة لمعاناة المسلمين.

هذا الكتاب مبني على شبكة أساسية من ثلاثة أعمدة تغطي ثلاث حقب زمنية وثلاثة مستويات تحليلية. نشرح في **القسم الأول** صعود التيار الجهادي الكلاسيكي في المملكة العربية السعودية بين عامي ١٩٧٩ و١٩٩٥. ونحلّل في الفصول الثلاثة الأولى بروز حركة جهادية كلاسيكية

على المستويات الثلاثة الكلّي والمتوسط والجزئي على التوالي. ويوغل **القسم الثاني** في الزمن ويقْصُر التركيز على الجهاديين العالميين ويعاين التفاف بعض السعوديين حول تنظيم القاعدة بين عامي ١٩٩٦ و٢٠٠١. لذلك كرّسنا الفصول الثلاثة التالية لعملية تجنيد العناصر في تنظيم القاعدة في أفغانستان، ولوكلائه والأشخاص المستهدفين فيه. ونعاين في **القسم الثالث والأخير** تشكيل تنظيم القاعدة في جزيرة العرب في عامي ٢٠٠٢ و٢٠٠٣ ونكرّس الفصل السابع والثامن والتاسع لأوجه تشكّل التنظيم على المستوى الكلّي والمتوسط والجزئي. ونختم الكتاب بالفصل العاشر ونبيّن فيه كيفية تطوّر الحملة وأسباب إخفاقها.

الفصل الأول

الدعوة إلى الوحدة الإسلامية

«عانت عدة دول إسلامية شقيقة في السنين القليلة الماضية أزمات غير عادية وكوارث طبيعية. وهبّت الحكومة دائماً لإسعاف تلك الدول المنكوبة لتعزيز روابط الأخوة بين الدول الإسلامية؛ امتثالاً لتعاليم الإسلام التي تدعو إلى التعاون والتضامن بين البشر».

وزارة المالية السعودية (١٩٩١)(*)

(*) *The Kingdom of Saudi Arabia's Economic and Social Development Aid to the Islamic World* (Riyadh: Ministry of Finance and National Economy, 1991), p. 24.

تخلّى آلاف السعوديين عن حياة الدّعة في أواسط الثمانينيات وأواسط التسعينيات، وتوجّهوا إلى القتال في أفغانستان وطاجيكستان والبوسنة والشيشان. عرّضوا حياتهم للخطر من أجل أشخاص لم يلتقوا بهم سابقاً، ومن أجل أراضٍ بالكاد يستطيعون تحديد مواقعها على الخريطة. وقد أنفقت المملكة العربية السعودية في زمن تراجع أسعار النفط مليارات الدولارات لتحرير بلدان تفصلها عنها آلافُ الأميال. ومع أن جيشها كان أضعف من أن يدفع عن حقولها النفطية هجوماً عراقياً في عام ١٩٩١، فقد شجعت شبابها على المشاركة في حروب المسلمين الأخرى في أوروبا وفي آسيا الوسطى.

كانت الدعوة إلى الوحدة الإسلامية القوة المحرّكة لهذا السلوك المثير للاهتمام، وهي أيديولوجيا مبنية على اعتبار سائر المسلمين شعباً واحداً يتحمّل كل فرد من أفراده مسؤولية الدفاع عن الأفراد الآخرين، في أوقات المحن. شهد العالم الإسلامي، في الثمانينيات، بروز تفسير أخذ طابعاً عسكرياً على نحو متزايد للوحدة الإسلامية؛ ورأى أن الأمّة محاطة بتهديدات خارجية؛ وشدّد، على وجه الخصوص، على نصرة المسلمين الذين يخوضون نزاعات مع غير المسلمين. وسعى أشدّ مناصري هذه الأيديولوجيا تطرّفاً إلى إقناع المواطنين العاديين بالمشاركة، عسكرياً، في صراعات التحرّر الوطني التي يخوضها مسلمون آخرون.

لكي نفهم أسباب نجاح هذا المسعى، آنذاك، وكيف أنّ نجاحه في المملكة العربية السعودية فاق نجاحه في أغلب الدول الإسلامية الأخرى، ينبغي أن نعاين تطوّر الفرص السياسية التي أتيحت للنشاط الإسلامي الوحدوي المتطرّف في المملكة، من أواسط سبعينيات القرن

الماضي إلى أواسط تسعينياته. وكما سنرى بعد قليل، شكّل انشغالُ المملكة العربية السعودية الدائم بشرعية الوحدة الإسلامية؛ وكذلك القوى المحرّكةُ للسياسة المحلّية السعودية النافذةَ التي أتاحت هذه الفرص.

أولاً: تشكّل الدعوة إلى الوحدة الإسلامية

إذا كانت وحدة المسلمين، في صورتها المثالية، منصوصاً عليها في مفهوم الأمّة القرآني (جماعة المؤمنين)، فإنّ التاريخ الفكري للدعوة إلى الوحدة الإسلامية، يرجع إلى أواخر القرن التاسع عشر وبروز الإسلام السياسي الحديث. وفي سياق القرن العشرين، أفرز مفهومُ الأمّة مجموعةً من الظواهر السياسية. وعموماً، يمكننا التفريق بين ثلاثة تجلّيات للدعوة إلى الوحدة الإسلامية: الدعوة إلى إقامة الخلافة، وتنسيق السياسة الخارجية، والتعبئة الشعبية.

إنّ الوحدة الإسلامية، في نظر المفكرين الإسلاميين الأوائل، من أمثال: رشيد رضا الذي نشر مؤلّفاته، في وقت قريب من سقوط الخلافة العثمانية في عام ١٩٢٤، تشير، ضمناً، إلى مشروع حقيقي لبناء وحدة سياسية رسميّة في العالم الإسلامي. وقد شهد عقد العشرينيات وعقد الخمسينيات من القرن الماضي محاولات عديدة لتوحيد الدول الإسلامية في منظمة شبيهة بالخلافة. لكنّ الدعوات القومية المحلّية والسياسة الواقعية، حالت دون تحقيق هذا المشروع الذي كان في حكم الميت، في أواخر خمسينيات القرن الماضي[١].

وفي الستينيات ومطلع السبعينيات، نشطت الدعوة إلى الوحدة الإسلامية، في صورة أقلّ مثالية، من خلال دعوة الملك فيصل، عاهل المملكة العربية السعودية إلى التنسيق والعون المتبادل بين الدول

(١) Jacob M. Landau, *The Politics of Pan-Islam: Ideology and Organization* (Oxford: Clarendon Press; New York: Oxford University Press, 1990), and James Piscatori, «Imagining Pan-Islam,» in: Shahram Akbarzadeh and Fethi Mansouri, eds., *Islam and Political Violence* (London: I. B. Tauris, 2007).

الإسلامية. صِيغَ مفهوم «التضامن الإسلامي»، الذي اقترحه الملك فيصل، مذهباً في السياسة الخارجية لا مشروعَ وحدة سياسية؛ ليكون المقابل، إلى حدّ بعيد، للقومية العربية العلمانية التي دعا إليها جمال عبد الناصر. كانت الوحدة الإسلامية التي دعا إليها الملك فيصل أداةً لبناء حلف، قبل أي شيء آخر، في زمن الحرب العربية الباردة بين مصر والمملكة العربية السعودية. لكنه خدم غاية سياسية محلّية أيضاً، وتحديداً تعزيز المؤهلات الشرعيّة الدِّينية للنظام السعودي. ولمّا كانت المملكة منشأ الوهّابية ومهد الإسلام، فقد جعلت الاستقامةَ الدينية ركيزة أساسية لشرعيتها؛ أي إن قيادة الأمّة الإسلامية ومساعدتها كانت الطريقة التي اعتمدها الملك فيصل في دعوى الاستقامة الدينية[٢].

لا ريب في أنّ الدعوة إلى الوحدة الإسلامية، في عهد الملك فيصل، كانت مثيرة للسخرية بعض الشيء، بالنّظر إلى عداء العلماء الوهّابيين التاريخي للمسلمين من غير الوهّابيين؛ إذْ إنّهم إلى مستهلّ القرن العشرين، لم يعتبروا في الغالب غيرَ الوهّابيين مسلمين أصلاً. لكنّ ذلك تغيّر مع العولمة التي جعلت السعوديين على اتصال مع «الكافرين الأصليين» في الدول غير المسلمة. وفي أواخر الخمسينيات، باتت المؤسسة الدينية السعودية تنظر إلى المسلمين الآخرين على أنهم مؤمنون تتوجّب نصرتهم. جاء ما يشبه الاعتراف الرسمي بأنّ غير الوهّابيين مسلمون؛ عندما عقد مفتي عام المملكة محمد بن إبراهيم اجتماعاً رسمياً لأول مرّة في عام ١٩٥٤، مع علماء كبار غير وهّابيين، مثل: حسنين محمد مخلوف، مفتي الديار المصرية، ومحمد الطاهر بن عاشور الفقيه المالكي التونسي[٣].

وبهدف الدعوة إلى الوحدة الإسلامية، شكّل الملك فيصل عدداً من

---

(٢) Abdullah M. Sindi, «King Faisal and Pan-Islamism,» paper presented at: *King Faisal and the Modernisation of Saudi Arabia* (conference), edited by Willard A. Beling (London: Croom Helm, 1980).

(٣) Reinhard Schulze, *Islamischer Internationalismus im 20 Jahrhundert: Untersuchungen zur Geschichte der Islamischen Weltliga*, Social, Economic, and Political Studies of the Middle East; v. 41 (Leiden; New York: Brill, 1990), p. 123.

المؤسسات على المستويين الوطني وفوق الوطني، عملت على تعزيز التعاون والتضامن المتبادل والوعي الديني في العالم الإسلامي. أبرز هذه المؤسسات رابطةُ العالم الإسلامي التي تأسست في أيار/ مايو عام ١٩٦٢، ومنظّمة المؤتمر الإسلامي التي تأسّست، بين عامي ١٩٦٩ و١٩٧٢. شاركت رابطة العالم الإسلامي في طائفة واسعة من الأنشطة الثقافية والتعليمية والخيرية، وخدمت بوصفها منظمة جامعة لعدد كبير من المنظمات الصغيرة. ومع أنها منظّمة غير حكومية، من الناحية الشكلية، فلا تزال إلى اليوم متأثّرة بنفوذ المملكة العربية السعودية ودعمها المالي السخيّ.

كما تأثّرت رابطة العالم الإسلامي، التي تتخذ من مكّة المكرّمة مقرّاً لها، بحركة الإخوان المسلمين التي تمتّع أعضاؤها الفارّون من حملات القمع في مصر وسوريا بحضور قوي فيها. وإذا كانت رابطة العالم الإسلامي تنشط على المستوى الاجتماعي، فإنّ منظمة المؤتمر الإسلامي منظمة حكومية دولية لها نفوذ عظيم في المجال الدبلوماسي. وبالإضافة إلى كونها منتدى لتنسيق السياسة الخارجية بين الدول الإسلامية، تملك المنظمة صلاحية تشكيل مؤسسات مالية وجمعيات خيرية. وهذا ما تجلّى خصوصاً بعد أن ملأت أزمةُ النفط في عام ١٩٧٣ خزائن دولها الأعضاء بالمال[٤].

ساعدت المنظمات الإسلامية الدولية، التي أسسها الملك فيصل، على بروز تطور ثالث للدعوة إلى الوحدة الإسلامية، أعني حركةً تجمع المساعدات الشعبية لمن يحتاج إليها من المسلمين. طوّرت هذه الحركة الوحدوية الإسلامية الشعبية التي برزت في الأجواء الدولية التي اكتنفت الحجاز، في سبعينيات القرن الماضي، خطاباً مثيراً للقلق تحدّث عن أخطار خارجية تهدّد الأمّة وعن الحاجة إلى تكافل المسلمين العاديين في

---

(٤) لمعرفة المزيد عن منظمة المؤتمر الإسلامي، انظر: Naveed S. Sheikh, *The New Politics of Islam: Pan-Islamic Foreign Policy in a World of States* (London; New York: RoutledgeCurzon, 2003).

ولمعرفة المزيد عن رابطة العالم الإسلامي، انظر: Schulze, Ibid.

ما بينهم. وقد انتفع الوحدويون الإسلاميون الشعبويون من التمويل السعودي، من خلال رابطة العالم الإسلامي؛ وتعاونوا مع جهات حكومية متى تسنّى لهم ذلك، لكنها جهات فاعلة غير حكومية لم تقيّدها السياسة الواقعية، بل ضغطت على الدول لتقديم مزيد من الدعم لقضايا المسلمين في شتى أنحاء العالم.

رأى الوحدويون الإسلاميون الشعبويون أن مفهوم التضامن الإسلامي متصل، عضوياً، بمعاناة المسلمين. لذلك، سعت المنظمات الإسلامية الدولية، منذ تأسيسها، إلى نشر الوعي بمحن المسلمين في ربوع العالم، من خلال المنشورات والمنابر الإعلامية. وقد أدّى هذا الجهد المنسَّق الذي تلازم مع تطوّرات تكنولوجية في الطباعة والتوزيع، في أواخر السبعينيات، إلى انتشار المنشورات الإسلامية التي تحدّثت عن محن المسلمين في مختلف أنحاء العالم. وبات في مقدور المسلمين في المغرب، مثلاً، قراءة الأخبار المتّصلة بمسلمي الشتات في البلقان أو بالوضع في إندونيسيا من خلال مجلات مثل **أخبار العالم الإسلامي**، ومجلة **رابطة العالم الإسلامي**، وبالتالي، قربت المسافات التي تفصل بين مكونات الأمّة[٥].

أخذت الدعوةُ إلى الوحدة الإسلامية بُعداً سياسياً متعاظماً في سياق سبعينيات القرن الماضي. ولو استثنينا دعم القضية الفلسطينية، أخذت الأنشطة الأولى لرابطة العالم الإسلامي ولمنظّمة المؤتمر الإسلامي طابعاً غير سياسي، وركّزت على المساعدات الإنسانية وعلى الإغاثة من الكوارث. كما شهدت هذه الحقبة تأسيس عدد كبير من الجمعيات الخيرية وصناديق التنمية التي عملت على تخفيف وطأة الفقر وعلى دفع عجلة التنمية الاقتصادية في العالم الإسلامي. لكن ومع نهاية السبعينيات، أخذت القضايا غير السياسية تعطي مكانها لصور معاناة منشؤها سياسي، مثل: الحروب والاضطهاد والتمييز. وهذا ما يتضح من أجنداتْ الاجتماعات السنوية لكلّ من «منظمة المؤتمر الإسلامي»

(٥) William Ochsenwald, «Saudi Arabia and the Islamic Revival,» *International Journal of Middle East Studies*, vol. 13, no. 3 (1981), p. 281.

و«رابطة العالم الإسلامي» ومن محتويات المجلات التي ترعاها «رابطة العالم الإسلامي». ولا ريب في أنّ نوعي هذه المحن وجهان لعملة واحدة من المنظور العالمي للوحدة الإسلامية. لذلك، أمسى التضامن الإسلامي مسوّغاً لطائفة من أشكال المساعدات الأخرى، بدءاً بالمساعدات التنموية وانتهاءً بشحنات الأسلحة السرّية[٦].

شكّلت سابقة دعم الملك فيصل للقضية الإسلامية الذي صيغ بعبارات وحدوية إسلامية رافداً لهذه العملية. ففي عام ١٩٤٨، أشرف فيصل الذي كان أميراً، آنذاك، على تشكيل «لجنة مساعدة فلسطين». وبعد أن أصبح ملكاً، قدّم مساعدات سخيّة للصراع الفلسطيني المسلّح مع إسرائيل ومرّر أغلب المساعدات التنموية السعودية إلى دول الطوق وإلى أعداء إسرائيل. وبعد حرب العام ١٩٦٧، أطلقت الحكومة السعودية عدة مبادرات محلّية لجمع الأموال نصرةً للقضية الفلسطينية. وفي كانون الأول/ديسمبر ١٩٦٧، شكّل الملك فيصل «اللجنة الشعبية لمساعدة أُسر شهداء وسجناء ومجاهدي فلسطين»، وهي منظمة لا تزال قائمة إلى اليوم. ترأس اللجنة آنذاك ـ وإلى الآن ـ الأمير سلمان، شقيق الملك فيصل لأبيه، وعملت على «تقديم كافة أشكال الدعم السياسي والأخلاقي والمادّي للشعب الفلسطيني». وفي سبعينيات القرن الماضي وثمانينياته، نظّمت اللجنةُ حملات خاصة لجمع الأموال والتبرعات، ولا سيما في أثناء اندلاع الأزمات الإقليمية، مثل: الغزو الإسرائيلي للبنان في عام ١٩٨٢؛ واندلاع الانتفاضة في عام ١٩٨٧. وكما سنرى، بعد قليل، أعيد في ثمانينيات القرن الماضي وتسعينياته بناء عدة هياكل تنظيمية واستراتيجيات زيادة الوعي التي صيغت في

---

(٦) لمعرفة المزيد عن تبلور القطاع الخيري الإسلامي، انظر: J. Millard Burr and Robert O. Collins, *Alms for Jihad: Charity and Terrorism in the Islamic World* (Cambridge, MA; New York: Cambridge University Press, 2006); Jonathan Benthall, «L'Humanitarisme islamique,» *Cultures et Conflits*, no. 60 (décembre 2005), et Abdel-Rahman Ghandour, *Jihad humanitaire: Enquête sur les ONG islamiques*, préf. de Rony Brauman (Paris: Flammarion, 2002).

وللاطلاع على مناقشة لتسيّس رابطة العالم الإسلامي، انظر: **قرارات وتوصيات أهم المؤتمرات التي عقدتها رابطة العالم الإسلامي** (مكّة المكرّمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٩٩١).

أواخر الستينيات؛ لحشد الدعم لقضايا أخرى، مثل: أفغانستان والبوسنة والشيشان[٧].

جرى تبرير الدعم السعودي للمقاومة الفلسطينية وتقنينه باستمرار باسم الدِّين، والتمست الحكومة موافقة كبار العلماء على سياساتها. وفي أواخر عام ١٩٦٨، ناشدَتِ اللجنةُ الشعبية مفتي عام المملكة، محمد بن إبراهيم، الحكمَ في إمكانية صرف أموال الزكاة التي تُجمع في المملكة العربية السعودية في دعم المقاومة الفلسطينية. وفي ٣ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٦٨، أفتى المفتي بجواز «استخدام جزء من أموال الزكاة بشرط أن تتولّى الحكومة الإشراف على صرفها... في شراء الأسلحة للفدائيين الذين يقاتلون أعداء الله اليهود». وقد شكّلت هذه الفتوى سابقة مهمة وأسهمت في توسيع مفهوم الأعمال الخيرية ليشمل الدعم الخاص لصراع عنيف[٨].

شهدت حقبة أواخر السبعينيات ومطلع الثمانينيات، إضفاء طابع أمني على الدعوة إلى الوحدة الإسلامية. ففي شباط/ فبراير ١٩٧٩، نظّم «المعهد الإسلامي لتكنولوجيا الدفاع» الذي تأسس حديثاً برعاية منظمة المؤتمر الإسلامي أول «مؤتمر أمني إسلامي» في لندن؛ حيث ركّز على «طرق ووسائل تعزيز الدفاع عن العالم الإسلامي». وفي العام ذاته، أصدر المعهد مجلّة شهرية اسمها **المراجعة الدفاعية الإسلامية**. وفي

---

(٧) أطلقت اللجنة في عام ١٩٦٨ مشروع «ريال فلسطين» تحت شعار «ادفع ريالاً وأنقذ عربياً». وأُطلِق مشروع آخر هو «سجل الشرف»، وكان دعوةً لجمع تبرعات منتظمة. وشهدت السنة ذاتها إطلاق «مشروع الالتزام الفلسطيني بخمسة بالمئة»؛ حيث التزم الفلسطينيون المقيمون في المملكة العربية السعودية باقتطاع خمسة بالمئة من رواتبهم لمصلحة اللجنة الشعبية. تلا ذلك في عام ١٩٦٩ «مشروع الواحد بالمئة» الذي دعا السعوديين إلى التبرّع بواحد بالمئة من رواتبهم للمقاومة الفلسطينية. وبحسب الخبير السياسي والاقتصادي ستيفن هيرتوغ، تشكّل «ضريبة الجهاد» هذه أول وآخر مخطط حكومي لفرض ضرائب على الدخل في التاريخ السعودي. انظر: عبد الرحيم محمود جاموس، **اللجان الشعبية لمساعدة مجاهدي فلسطين في المملكة العربية السعودية** (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠١)، ص ٢٦ و٣٤. وللاطلاع على قائمة بالمؤلفات السعودية التي تناولت القضية الفلسطينية، انظر: فيصل بن محمود بن عبد الرحمن السباعي، **القضية الفلسطينية بأقلام سعودية** (مكّة المكرمة، جامعة أمّ القرى، ٢٠٠٢).

(٨) جاموس، المصدر نفسه، ص ٤٦ و٩٤.

عام ١٩٨٠، أجازت منظمة المؤتمر الإسلامي قراراً بعنوان «أمن الدول الإسلامية وتضامنها» وقد شدد، لأول مرة، على أنّ «أمن أي دولة إسلامية يهمّ كافة الدول الإسلامية»، وشُكّلت في العام التالي «لجنة أمن إسلامي» تابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي. وطوال الثمانينيات والتسعينيات، أعربت المنظمة عن تضامنها مع عدة دول أعضاء، في نزاعاتها مع دول غير مسلمة، والتي صدف أن غالبها مسيحية، مثل: نزاع إيران مع الولايات المتحدة في عام ١٩٨٠، وصراع لبنان مع إسرائيل في عام ١٩٨٢، ونزاع جزر كوموروس مع فرنسا طوال عقد الثمانينيات، وصراع الصومال مع إثيوبيا في عام ١٩٨٤، وصراع أذربيجان مع أرمينيا على إقليم ناغورنو كرباخ في عام ١٩٨٨، وصراع السودان مع «المخططات الخارجية» في عام ١٩٩١. وفي حالتي أفغانستان والبوسنة، أقرّت المنظّمة، بالطبع، إجراءات تجاوزت بكثير حدّ الإدانة الشفهية لتكتسي الدعوةُ إلى الوحدة الإسلامية بُعداً عسكرياً[٩].

تجلّى إضفاء الطابع الأمني على التضامن الإسلامي، في المملكة العربية السعودية أيضاً؛ إذْ تميّزت الحقبة الممتدة بين أواخر السبعينيات وعقد الثمانينيات بتنامي المشاركة السعودية في النزاعات السياسية الدولية بين المسلمين وغير المسلمين. بادئ ذي بدء، تعاظم، بدرجة كبيرة، مستوى الدعم المالي السعودي للمسلمين الذين يواجهون صراعات، بدءاً بأواخر سبعينيات القرن الماضي. وفي أواخر الثمانينيات، زاد الإنفاق على القضيتين الأفغانية والفلسطينية مع أنّ العائدات النفطية تراجعت، بشكل ملحوظ، في الحقبة ذاتها (انظر الشكلين الرقمين (١ ـ ١) و(١ ـ ٢)).

وبالإضافة إلى ذلك، اشتمل الدعم السعودي على تقديم مساعدات عسكرية في حالة أفغانستان (وإن بقي الدعم المخصّص لفلسطين مالياً

---

(٩) **مجلة رابطة العالم الإسلامي**: السنة ٦، العدد ٤ (١٩٧٩)، ص ٦٤ والسنة ٨، العدد ٤ (١٩٨١)، ص ٦٣، و Mohammad El Sayed Selim, ed., *The Organization of the Islamic Conference in a Changing World* (Cairo: Cairo University, Center for Political Research and Studies, 1994), pp. 117 and 119.

صِرفاً). وأصبحت الحربُ الأفغانية الصراعَ الخارجي الأول منذ حربي عامي ١٩٤٨ و١٩٦٧ بين العرب والإسرائيليين، التي شهدت مشاركة عسكرية شخصية سعودية (أرسل الجيش السعودي وحدات عسكرية صغيرة إلى الأردن في عامي ١٩٤٨ و١٩٦٧). أخيراً، توسّع النطاق الجغرافي للتدخل ووصل إلى آسيا الوسطى، في الثمانينيات وإلى أوروبا في التسعينيات، بعد أن كان مقتصراً على العالم العربي في أوائل السبعينيات[١٠].

جاء تنامي النزعة الوحدوية الإسلامية الشعبوية في الثمانينيات، أولاً وقبل كل شيء، ثمرة جهد دعائي متراكم بذلته منظمات إسلامية دولية عملت بلا هوادة منذ السبعينيات على نشر الوعي بمعاناة المسلمين في مختلف أنحاء العالم. والعامل الثاني هو الزيادة الفعلية في عدد الصراعات العنيفة في المنطقة، مثل: الصراع الأفغاني والحرب في لبنان والانتفاضة الفلسطينية. وهذا ما منح الإطارَ الإسلامي الوحدوي مزيداً من الصدقية العملية، وبالتالي، منحه مزيداً من القدرة التعبوية. وضَمِنَ انتشار الوسائل الإخبارية مشاهدة عدد أكبر من الأشخاص في المملكة العربية السعودية الصراعات ذاتها. لكن هناك عامل آخر هو أفول نجم المنافس الأيديولوجي الرئيس للوحدويين الإسلاميين وأعني القومية العربية. ذلك أنّ العار الذي ألحقته حربُ العام ١٩٦٧ بدعاة الوحدة العربية، ومعاهدة السلام المصرية الإسرائيلية، والحرب الأهلية اللبنانية خلّفت فراغاً أيديولوجياً ملأه دعاة الوحدة الإسلامية. ومما قوّى هذا الميل تأجّج صراعات عديدة شغلت العالم الإسلامي، في الثمانينيات وفي مطلع التسعينيات، في دول غير عربية، مثل: أفغانستان والبوسنة والشيشان.

---

(١٠) زُعم أن وحدة عسكرية مؤلفة من ٥١٣ سعودياً شاركت في حرب العام ١٩٤٨؛ دفاعاً عن فلسطين، منهم ١٣٤ «سقطوا شهداء»، انظر: جاموس، المصدر نفسه، ص ١٨. وفي أثناء حرب العام ١٩٦٧، أُرسل لواء سعودي مؤلف من ٣٠٠٠ جندي إلى جنوب الأردن لكنه لم يخض حرباً، انظر: Alexei Vassiliev, *The History of Saudi Arabia* (London: Saqi Books, 2000), p. 384.

الشكل الرقم (١ ـ ١)
التمويل السعودي للمقاومة الفلسطينية بالنسبة إلى أسعار النفط، ١٩٦٧ ـ ١٩٩٠

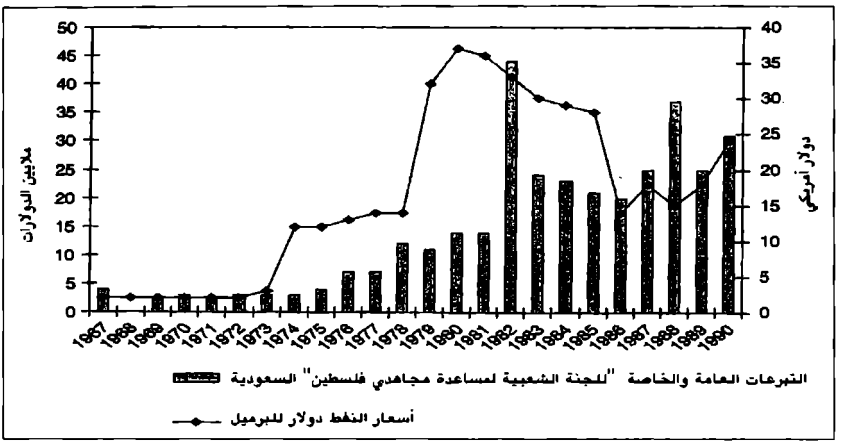

المصدر: عبد الرحيم محمود جاموس، **اللجان الشعبية لمساعدة مجاهدي فلسطين في المملكة العربية السعودية** (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠١)، ص ٥٦، و *BP Statistical Review of World Energy* (June 2006).

الشكل الرقم (١ ـ ٢)
التمويل الحكومي السعودي للمجاهدين الأفغان بالنسبة إلى أسعار النفط، ١٩٨٠ ـ ١٩٩٠(*)

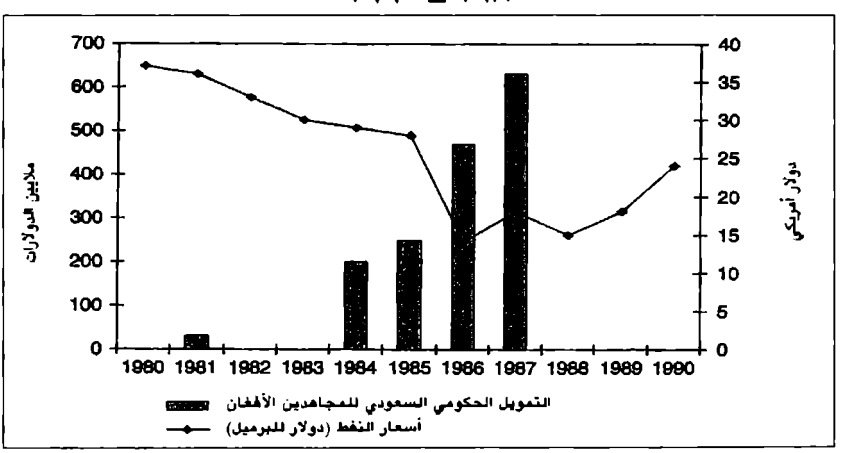

(*) ينقص الشكل، البيانات العائدة إلى السنتين ١٩٨٢ و١٩٨٣.

المصدر: Steve Coll, *Ghost Wars: The Secret History of the CIA, Afghanistan, and Bin Laden, from the Soviet Invasion to September 10, 2001* (New York: Penguin Press, 2004), pp. 65, 102 and 151, and *BP Statistical Review of World Energy* (June 2006).

إلى جانب العوامل المتصلة بالجهاد الأفغاني التي سنعاينها بعد قليل، برز تطوّران شكّلا مصدر إلهام لسياسة وحدوية إسلامية أنشط، تبنّتها الحكومة السعودية في ثمانينيات القرن الماضي.

الأول كان انتصار الثورة الإيرانية التي نازعت المملكةَ العربية السعودية قيادةَ العالم الإسلامي واعتمدت خطاباً شعبياً معادياً بشدة للولايات المتحدة الحليف الرئيس للمملكة.

والتطوّر **الثاني** كان تراجع أسعار النفط، في أواسط الثمانينيات، الذي أحدث أزمة اقتصادية خطيرة، أرغمت المملكة على التراجع عن وعدها بتوفير وظائف لخرّيجي الجامعات فضلاً عن أمور أخرى(١١).

تحدّى هذان التطوّران ركيزتين أساسيتين لشرعية النظام السعودي، هما: استقامته الدِّينية وقدرته على توفير الرفاه الاقتصادي. وتحت وطأة هذه الضغوط وصعود حركة الصحوة في أواخر الثمانينيات، رأت الحكومة السعودية في الدفاع عن قضايا الوحدة الإسلامية وسيلة نافعة لصرف بعض التذمّر المحلّي بعيداً عنها. إن سياسة صرف الانتباه مشهورة في دول إسلامية أخرى؛ ففي الجزائر مثلاً، زادت الحكومة إنفاقها على القطاع الدِّيني بشكل ملحوظ في الثمانينيات، وقت تراجع نصيب الفرد في الناتج المحلّي الإجمالي، أي إن الدعوة الشعبوية إلى الوحدة الإسلامية كانت إلى حدّ ما إشغالاً للشعب في المملكة العربية السعودية بهموم خارجية(١٢).

---

(١١) لمعرفة المزيد عن الحرب الباردة السعودية الإيرانية، انظر: Jacob Goldberg, «Saudi Arabia and the Iranian Revolution: The Religious Dimension,» in: David Menashri, ed., *The Iranian Revolution and the Muslim World*, Westview Special Studies on the Middle East (Boulder, CO: Westview Press, 1990).

ولمعرفة المزيد عن التراجع الاقتصادي، انظر: Elaine Sciolino, «In Saudi Oasis of Calm, Some See Seeds of Unrest,» *New York Times*, 15/5/1985, and Robert Lacey, *Inside the Kingdom: Kings, Clerics, Modernists, Terrorists, and the Struggle for Saudi Arabia* (New York: Viking, 2009), chap. 10.

(١٢) للاطلاع على تفاصيل صعود حركة الصحوة في أواخر الثمانينيات، انظر: Matrook Alfaleh, «The Impact of the Processes of Modernization and Social Mobilization on the Social and Political Structures of the Arab Countries with Special Emphasis on Saudi Arabia,» (Ph. D = Dissertation, University of Kansas, 1987), p. 176, and Stéphane Lacroix, «Les Champs de la

تزامن صعود الدعوة إلى الوحدة الإسلامية، في الثمانينيات، مع عملية مميزة تمثّلت في إضفاء الطابع الاجتماعي المُحافِظ على المجتمع السعودي. ذلك أنه، في بداية العقد، وردّاً ولو من بعض النواحي على احتلال جُهَيمان الحرم المكّي في عام ١٩٧٩، قرّر النظام إبطاء عملية التحرّر الاجتماعي التي كانت تواكب الطفرة النفطية في السبعينيات. بناءً على ذلك، وسّعت الدولةُ صلاحيات المؤسسة الدِّينية وزادت موازناتها زيادة كبيرة. سارع العلماء الذين ألحّوا من أجل هذا التغيير طوال سنين إلى انتهاز الفرصة؛ لتعميم المبادئ الوهّابية الصارمة وتوطيدها في ما يتصل بممارسة العبادات والسلوك الأخلاقي، على نحو أشدّ من أي وقت مضى. وكان عاقبة ذلك أنه اجتاحت المملكةَ العربية السعودية في الثمانينيات موجةُ نزوع إلى الممارسات الاجتماعية المحافِظة. أُغلقت دور السينما المحدودة التي كانت قائمة بشكلٍ غير رسمي، ومنعت المذيعات من تقديم النشرات الإخبارية على الهواء، وزاد ظهور رجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في سائر مدن البلاد[١٣].

لكنّ «الدعوة الوهّابية» و«الدعوة إلى الوحدة الإسلامية» في المملكة في عام ١٩٨٠، شكّلتا عمليّتين منفصلتين، كان لكل منهما أسبابها ونتائجها. فإذا كانت **الأولى** عملية محلّية صرفة آزرها العلماء الوهّابيون النجديون، وأثمرت زيادةً في الطابع الاجتماعي المُحافِظ، فقد كان للثانية ارتدادات دولية عزّزتها منظمات تتّخذ من الحجاز مقرّاً لها، مثل «رابطة العالم الإسلامي»، وأثمرت تشدداً سياسياً. على أنّ كلتا العمليتين أوجدت مزيداً من الحيّز السياسي للأنشطة الإسلامية على اختلاف أنواعها. لذلك، باتت نافذة الفرص السياسية المتاحة للأنشطة

---

discorde: Une Sociologie politique de l'islamisme en Arabie Saoudite (1954-2005),» (Ph.D. = Thesis, Institut d'Etudes Politiques de Paris, 2007), p. 327ff.

ولمعرفة المزيد عن السياسات الإلهائية الجزائرية، انظر: Abdelaziz Testas, «The Roots of Algeria's Religious and Ethnic Violence,» *Studies in Conflict and Terrorism*, vol. 25 (2002), p. 78.

(١٣) Gwenn Okruhlik, «Networks of Dissent: Islamism and Reform in Saudi Arabia,» *Current History*, vol. 101, no. 651 (2002); Michaela Prokop, «Saudi Arabia: The Politics of Education,» *International Affairs*, vol. 79, no. 1 (2003), p. 78, and Tim Niblock, *Saudi Arabia: Power, Legitimacy and Survival*, Contemporary Middle East (London: Routledge, 2006), pp. 83-85.

الإسلامية، وخصوصاً الرامية إلى تعبئة الناس للجهاد في أفغانستان، نافعة للغاية.

ثانياً: الجهاد الأفغاني والدولة السعودية

نتيجة للغزو السوفياتي لأفغانستان في عام ١٩٧٩، طالبت المنظمات الإسلامية العابرة للحدود بإعلان الجهاد لطرد المحتلّ السوفياتي، ما أعطى الصراع بُعداً دينياً سُخّرت له موارد متنوعة ضخمة حكومية وغير حكومية، من العالم الإسلامي بعامة، ومن المملكة العربية السعودية بخاصة. وبذلك انتقلت المملكة بمشاركتها في أفغانستان، من موقف اللافاعل ومن الاقتصار على تقديم الدعم المالي إلى مقاربة فاعلة وعسكرية في التعاطي مع الدعوة إلى الوحدة الإسلامية[١٤].

بلغ الدعمُ السعودي للمقاومة الأفغانية مدى وعمقاً لم يُعرف له مثيل، بل إنّه تجاوز المساعدات التي قُدّمت للفلسطينيين؛ ذلك أنّ الدعم المالي للمجاهدين الأفغان، بين عامي ١٩٨٤ و١٩٨٩، فاق الدعم الذي قدّمته المملكة لمنظمة التحرير الفلسطينية، في أيّ حقبة تمتدّ خمس سنين متوالية، منذ سبعينيات القرن الماضي. وعلى سبيل المثال، حصلت منظمة التحرير على ما مجموعه ٣,٧٢ مليار ريال سعودي (٩٩٢ مليون دولار) من الحكومة السعودية، في سحابة أربع عشرة سنة، بين عامي ١٩٧٨ و١٩٩١، بينما حصل المجاهدون الأفغان على ٦,٧٥ مليار ريال سعودي على الأقل (١,٨ مليار دولار)، في سحابة ثلاث سنين، بين عامي ١٩٨٧ و١٩٨٩. والدعم العسكري السعودي للقضية الأفغانية كذلك كان أوضح منه للقضية الفلسطينية. وإن كانت المملكةُ قد موّلت كثيراً من مشتريات منظمة التحرير من الأسلحة، فإنّ الفلسطينيين لم يكونوا، يوماً، في حاجة إلى عون سعودي لشراء السلاح، وهم لم يرغبوا، بالتأكيد، في استقدام متطوّعين سعوديين غير مؤهلين. كما إنّ حِلف المملكة مع الولايات المتحدّة جعل إرسال مقاتلين إلى فلسطين

(١٤) Gilles Kepel, *Jihad: The Trail of Political Islam*, translated by Anthony F. Roberts (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2002), p. 136ff.

صعباً، من الناحية السياسية. زد على ذلك، أن اختراق حدود إسرائيل عسير جداً على المقاتلين المتطوعين، علماً بأن أياً من دول الطوق لم يعد يوفر قاعدة مناسبة للتسلّل إلى إسرائيل، بعد العام ١٩٧٠. ومن ناحية أخرى، كان العمل التطوعي في أفغانستان مجازاً من الأمريكيين، ومرحَّباً به من الأفغان، وميسَّراً لوجود معبر اسمه باكستان. وهذا ما أتاح للدولة السعودية تقديم دعم عسكري ولوجستي مباشر، وأتاح للمواطنين السعوديين المشاركة في القتال(١٥).

في مطلع الثمانينيات، كان الدعم السعودي دبلوماسياً وسياسياً وإنسانياً، في الأساس، على الصعيد الدبلوماسي، عمل السعوديون من خلال «منظمة المؤتمر الإسلامي» على ضمان عزل نظام كابل وعلى حشد الدعم للمقاومة الأفغانية. وعلى الصعيد السياسي، مارست الرياض ضغوطاً كبيرة على فصائل المجاهدين الأفغان ليرصّوا صفوفهم وأصرّت على اتحادهم كشرط لتوسيع مساعداتها لهم. كما قدّمت الحكومة السعودية قدراً معيناً من الدعم المالي للجمعيات الخيرية أساساً ولحزب الاتحاد بقيادة عبد ربّ الرسول سيّاف. مُرّرت المساعدات السعودية الرسمية في السنين الأولى من خلال منظمتين رئيستين، هما: «جمعية الهلال الأحمر السعودي» و«اللجنة الشعبية لجمع التبرّعات». تشكّلت هذه الأخيرة، في مطلع العام ١٩٨٠ برئاسة الأمير سلمان على شاكلة اللجنة الشعبية لمساعدة فلسطين. وفي وقت لاحق من العام ذاته، حملت اللجنة الشعبية اسم «اللجنة السعودية للإغاثة». وفي أيار/ مايو ١٩٨٠، سلّم وزيرُ الخارجية سعود الفيصل منظمةَ المؤتمر الإسلامي شيكاً بمبلغ ٨١,٣ مليون ريال سعودي (٢١,٧ مليون دولار)؛ لمساعدة اللاجئين الأفغان، وسلّم الأميرُ سلمان حكومةَ باكستان مبلغاً إضافياً بقيمة ٥٠ مليون ريال سعودي (١٣,٣ مليون دولار) «من الشعب السعودي»(١٦).

---

(١٥) *The Kingdom of Saudi Arabia's Economic and Social Development Aid to the Islamic World.*

هذه الأرقام لا تتضمن التبرعات الخاصة.

(١٦) باسل محمد، **الأنصار العرب في أفغانستان**، ط ٢ (الرياض: لجنة البرّ الإسلامية، ١٩٩١)، ص ٣٧ ـ ٣٨، و William B. Quandt, *Saudi Arabia in the 1980s: Foreign Policy, Security* =

بيد أن دعم الحكومة السعودية للمقاومة الأفغانية، لم يبلغ مستويات كبيرة إلّا في أواسط الثمانينيات. وفي وقت لاحق، ذكر عبد الله عزّام، المنظّم الرئيس لتعبئة العرب، أنّ دعم الحكومة السعودية وشعبها للجهاد الأفغاني لم يبدأ إلّا في العام ١٩٨٣. والسؤال الذي يطرح نفسه، هو لماذا زاد الدعم في أواسط الثمانينيات؟ يكمن جزء مهم من الجواب في السياسة الأمريكية. كانت المملكة العربية السعودية قد تعهّدت؛ استجابةً لطلب الأمريكيين بتقديم مساعدات، في عام ١٩٨٠ أو ١٩٨١، مساوية للتمويل الذي أقرّه الكونغرس الأمريكي للمقاومة الأفغانية. واتفق الطرفان على الإسهام، بالتساوي في الأموال التي أشرفت وكالة الاستخبارات المركزية على توزيعها على المجاهدين الأفغان، بدءاً بعام ١٩٨٢. لكنّ المبالغ المالية التي رصدها الكونغرس الأمريكي، إضافة إلى المملكة العربية السعودية، زادت زيادة كبيرة في عامي ١٩٨٤ و١٩٨٥، بفعل التطوّرات السياسية التي شهدتها الساحة المحلّية الأمريكية. ولولا الضغط والمبادرة الأمريكيتان ما وصلت المشاركة السعودية في أفغانستان، على الأرجح، إلى المستوى الذي وصلت إليه؛ أي إنّ زيادة التمويل، في أواسط الثمانينيات، لم تكن مسألة موازنة فقط، بل كانت إشارة سياسية واضحة من واشنطن؛ لاستخدام الوسائل المتاحة كافة؛ لنصرة المجاهدين الأفغان[١٧].

عندما نناقش قضية الدعم السعودي للجهاد الأفغاني، لا ينبغي النظر

---

and Oil (Washington, DC: Brookings Institution, 1981), p. 42; Steve Coll, *Ghost Wars: The Secret History of the CIA, Afghanistan, and Bin Laden, from the Soviet Invasion to September 10, 2001* (New York: Penguin Press, 2004), pp. 82-83; David Holden and Richard Johns, *The House of Saud* (London: Sidgwick and Jackson, 1981), p. 537; Barnett R. Rubin, *The Fragmentation of Afghanistan: State Formation and Collapse in the International System*, 2nd ed. (New Haven, CT: Yale University Press, 2002), p. 193; «Support for the Afghan Jihad Effort,» *Journal of the Muslim World League*, vol. 7, no. 8 (1980), p. 60, and «Aid for Afghan Refugees,» *Journal of the Muslim World League*, vol. 8, no. 10 (1981), p. 43. =

(١٧) بشير أبو رمان وعبد الله السعيد، **العالم والمجاهد والشهيد الشيخ عبد الله عزّام** (عمّان: دار البشير، ١٩٩٠)، ص ٨٤؛ Coll, Ibid., pp. 81-82, 90-91 and 102; Rubin, Ibid., pp. 180 and 196; Jonathan Randal, *Osama: The Making of a Terrorist* (New York: Vintage Books, 2004), p. 72, and George Crile, *Charlie Wilson's War: The Extraordinary Story of the Largest Covert Operation in History* (New York: Atlantic Monthly Press, 2003), p. 238.

إلى مرسل الدعم ومتلقّيه كجهتين متكاملتين، علينا، **أولاً**، أن نشير إلى أنّه لم يكن لدى الحكومة سيطرة ومراقبة كاملة لعملية نقل الأموال وخروج المتطوّعين من المملكة العربية السعودية؛ إذْ إن كثيراً من تلك المساعدات جاءت من منظمات شبه رسمية، مثل: جمعيات خيرية ومؤسسات دينية وكذلك من متبرّعين خاصّين. وكان يعمل عدد كبير من الجمعيات الخيرية السعودية في أفغانستان وباكستان، في أواسط الثمانينيات وأواخرها. وقدّم كثير منها للمقاتلين خدمات لوجستية وغيرها، بالإضافة إلى أنشطتها الإنسانية أو الدعوية؛ وعلى سبيل المثال، كان مندوب «رابطة العالم الإسلامي» في بيشاور منذ عام ١٩٨٦ وائل جُلَيدان وليس أحداً آخر، وهو صديق مقرّب من أسامة بن لادن وأحد أوائل أعضاء مكتب الخدمات التابع لعبد الله عزّام. وشكّلت «جمعيةُ الهلال الأحمر السعودي» حلقةً في سلسلة توريد الأسلحة، وهي التي أقامت مكاتب لها في المناطق الحدودية لأسباب منها خفض تكلفة نقل الأسلحة، واستُخدمت سيارات الإسعاف في مناسبة واحدة، على الأقل، في نقل مقاتلين أصحّاء من جبهة القتال وإليها. كان طمس الخطوط الفاصلة بين المساعدة الإنسانية والمساعدة العسكرية نتيجة طبيعيّة مهمة لصعود النزعة الوحدوية الإسلامية العسكرية في الثمانينيات والتسعينيات، وعاملاً في اعتبار المشاركة في الجهاد العنيف عملاً خيرياً، لكنّ الرقابة الحكومية على القطاع الخيري لم تكن مطلقة[١٨].

من الأمثلة الجيدة على الطبيعة المائعة للدعم السعودي، في مراحله الأولى، دورُ ناصر الرشيد، وهو مسؤول رفيع في «جمعية الهلال الأحمر السعودي» وأحد أوائل موظفي الإغاثة السعوديين في أفغانستان. زار الرشيد معسكرات المجاهدين الأفغان، في خريف العام ١٩٨١ أو ١٩٨٢، وهاله افتقار آلاف المقاتلين؛ في معسكري ورساك (Warsak) وأبو بكر، إلى البطانيات والخيام قبيل فصل الشتاء، فاشترى المعدات اللازمة من

---

(١٨) محمد، المصدر نفسه، ص ١٨٦، و Muhammad Amir Rana and Mubasher Bukhari, *Arabs in Afghan Jihad* (Lahore: Pak Institute for Peace Studies, 2007); Rubin, Ibid., pp. 197 and 231, and Coll, Ibid., p. 86.

ماله الخاص. لذلك، يصعب تصنيف هذا النوع من المساعدة بأنه رسمي، تماماً، أو غير رسمي[١٩].

كان لدى الحكومة، بالطبع، برامجها وأدواتها الخاصة لمؤازرة الجهاد الأفغاني، فتعاونت الاستخبارات السعودية، بشكل وثيق، مع وكالة الاستخبارات المركزيّة وسمحت لها باستعمال الأراضي السعودية كمعبر لشحنات الأسلحة المتوجّهة إلى باكستان. كما عملت الاستخبارات السعودية بشكل مستقل عن الأمريكيين في باكستان وأفغانستان. وفي ذروة المشاركة السعودية في أفغانستان، كان الأمير تركي الفيصل، مدير الاستخبارات السعودية، يسافر إلى باكستان خمس مرات شهرياً. لكنّ أغلب الدعم السعودي الرسمي للجهاد الأفغاني وصل إلى الأفغان لا إلى العرب، وإن كان ذلك لا ينفي وجود قدر من الاتصال والتعاون المحدود بين طبقة الموظفين السعوديين والمقاتلين العرب. فمن المعلوم أنّ الأمير تركي الفيصل اتصل بأسامة بن لادن، وقتئذٍ، وإن لم تتّضح طبيعة العلاقة بينهما على وجه الدقّة. وتعاون الدبلوماسيون والمسؤولون الاستخباريون السعوديون مع «مكتب الخدمات» التابع لعبد الله عزّام في مناسبات خاصة. ووصف بن لادن نفسُه كيف ساعده توفيق المدار، السفير السعودي في إسلام أباد، على نقل جرّافة من المملكة العربية السعودية إلى باكستان في عام ١٩٨٥. استُخدمت هذه الجرّافة، لاحقاً، في بناء معسكرات التدريب في أفغانستان. ومع ذلك، لا يقارَن هذا الدعم بمئات ملايين الدولارات التي أغدقتها الحكومة السعودية على الميليشيات الأفغانية[٢٠].

ربما لا يكون للتفريق الدقيق بين المهامّ التي تولّتها جهات حكومية وجهات شبه حكومية وجهات غير حكوميةٍ أهميةٌ في تحليلنا، لكنّ النقطة

---

(١٩) عبد الله عزام، **آيات الرحمن في جهاد الأفغان** (عمّان: مكتبة الرسالة الحديثة، ١٩٨٦)، ص ١٨٤، وجاسر الجاسر، «قصة الأفغان السعوديين،» **المجلة** (١١ أيار/ مايو ١٩٩٦)، ص ٢٠.

(٢٠) محمد، المصدر نفسه، ص ٨٧؛ Mark Huband, *Warriors of the Prophet: The Struggle for Islam* (Boulder, CO: Westview Press, 1999), p. 10; Mohammad Yousaf and Mark Adkin, *Afghanistan-the Bear Trap: The Defeat of a Superpower*, 2nd ed. (Barnsley: Leo Cooper, 2001), p. 100; Coll, Ibid., pp. 82 and 86-87; Jamal Khashoggi: «Kingdom Has Big Role to Play in Afghanistan's Reconstruction: Prince Turki,» *Arab News*, 9/11/2001, and «Osama Offered to Form Army to Challenge Saddam's Forces: Turki,» *Arab News*, 7/11/2001.

الأساسية هي توافر فرص سياسية ممتازة للتعبئة. فلم تضع الدولة أي عراقيل في طريق من سعى إلى تجنيد سعوديين للقتال في أفغانستان، وجمع الأموال لأنشطتهم، مثل: عبد الله عزّام وأسامة بن لادن. لكن لا مفرَّ من القول إن كيانات حكومية أو شبه حكومية، مثل: «رابطة العالم الإسلامي» حثّت السعوديين على التوجّه إلى أفغانستان. ومن المعلوم، أنّ خطوط الطيران السعودية قدّمت حسماً بنسبة ٧٥ بالمئة على تذاكر سفر الرحلات المتوجّهة إلى بيشاور، في أواخر الثمانينيات. ونقلت وسائلُ الإعلام السعودية التي تخضع لرقابة الدولة مجريات الأحداث بإسهاب من أفغانستان بدءاً بأواسط الثمانينيات، وبثّ التلفزيون السعودي المحاضرات التي ألقاها عبد ربّ الرسول سيّاف، أحد قادة المجاهدين أمام الملك في مِنى في أثناء موسم الحج. وأعادت الصحف السعودية نشر بيانات وفتاوى صادرة عن علماء بشأن أفغانستان، حتى إن بعض المقالات تحدّث عن كرامات الشهداء العرب الذين سقطوا في ميادين القتال في أفغانستان. كما نظّمت السلطات حملات لجمع التبرّعات «للجنة نصرة المجاهدين الأفغان» التي ترأسها الأمير سلمان[٢١].

ربما كانت المؤسسةُ الدِّينية الكيانَ الرسمي الوحيد الذي تردّد بعض الشيء في تحريض الشباب على القتال في أفغانستان. فمن التصوّرات الخاطئة الشائعة، في دراسة تاريخ هذه الحقبة، وصف العلماء الوهّابيين بأنهم الدعاة الأُول؛ لتعبئة الناس للقتال في أفغانستان. في الواقع، قلّة هم العلماء، إن وُجدوا، من المؤسسة الدِّينية الذين رغّبوا السعوديين في الجهاد في أفغانستان بوصفه فرض عين. ذلك أنّ عامّة العلماء رَأَوا أنّ الجهاد هناك، فرض كفاية وحرصوا على أن تصل الموارد المادّية والبشرية المرصودة للقضية الأفغانية إلى أفراد ومنظمات «عقيدتها سليمة». وما إصرار الحكومة السعودية على تمويل عبد ربّ الرسول

---

(٢١) محمد، المصدر نفسه، ص ٤٦؛ **القدس العربي**، ٢٠/ ٣/ ٢٠٠٥؛ فتحي الزبيدي، **الجهاد الأفغاني في الكتابات العربية المعاصرة** (دمشق: دار المعرفة، ١٩٩٦)؛ صالح الورداني، **فقهاء النفط: راية الإسلام أم راية آل سعود؟** (القاهرة: المدبولي الصغير، ١٩٩٤)، ص ٨٧ ـ ٩٤؛ Huband, Ibid., p. 3, and Coll, Ibid., p. 84.